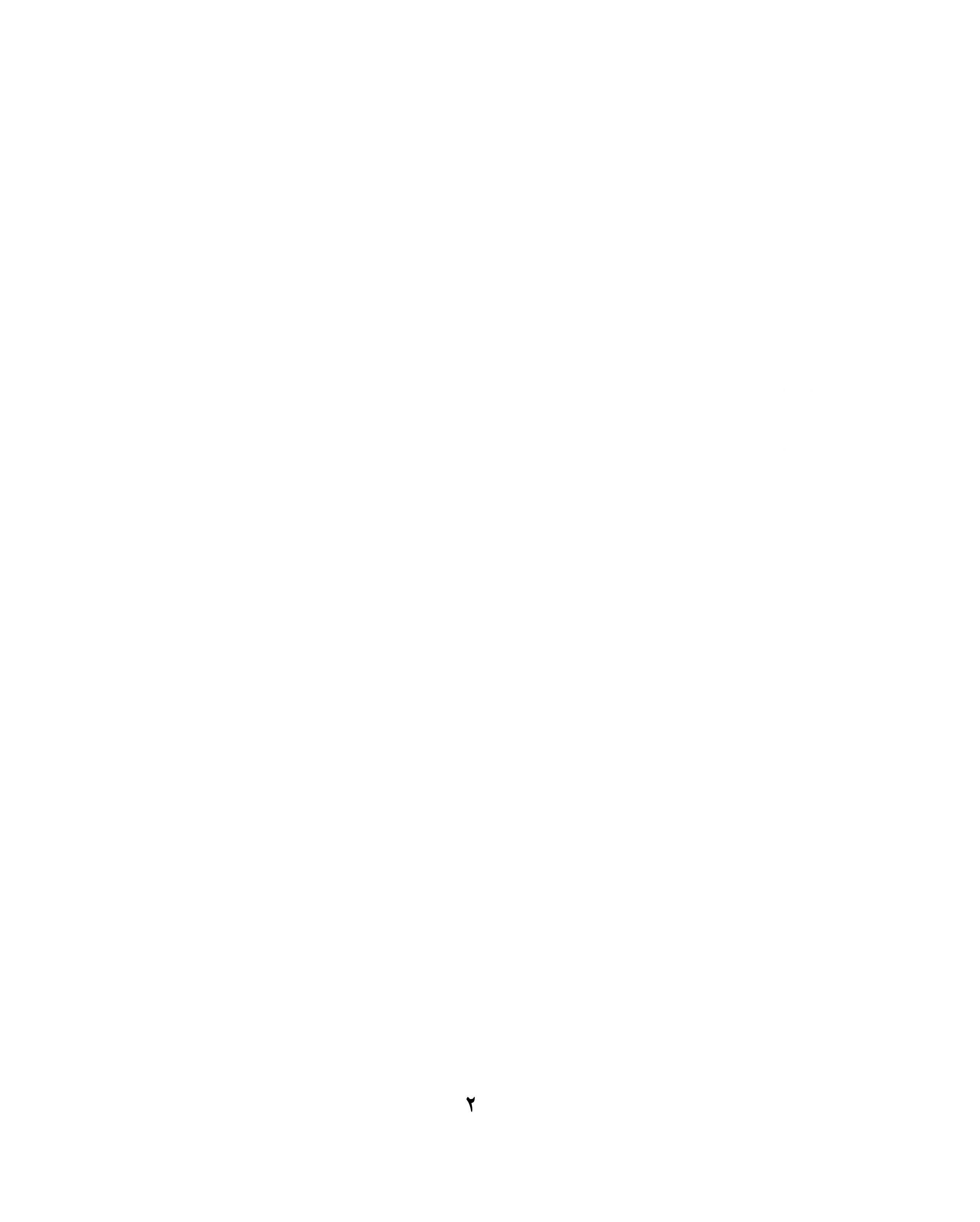


أثر المتنبي
في شعر اليمن الحديث



أثر المتنبي
في شعر اليمن الحديث

تأليف

د. فضل ناصر مكوع

أثر المتنبي في شعر اليمن الحديث

تأليف: د. فضل ناصر مكوع

سنة الطباعة: ٢٠١١.

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة.

الترميز الدولي: *ISBN: 978-9933-410-93-3*

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار مؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف: ٥٦٢٧٠٦٠ ١١ ٠٠٩٦٣

فاكس: ٥٦٣٢٨٦٠ ١١ ٠٠٩٦٣

ص. ب: ٢٥٩ جرمانا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾

(الأحزاب / ٢٣)



الإهداء

إلى الشاعر الذي شغل الناس، وملأ الدنيا إلى من رفع راية العروبة والإسلام عالياً في عالم الفكر والأدب إلى أبي الطيب المتنبي أمير الشعر العربي في عصوره كلِّها.

د. فضل مكوع



المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد الهدى والمرسلين، وعلى آله وصحبه وتابعيه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد:

فإن هذا الكتاب قد خصص لأثر المتنبي في شعر اليمن الحديث، ولعل التركيز على المتنبي لأنه يعد الأنموذج الصالح لتمثيل خصائص الشعر العربي قديمه وحديثه في قدرته على التخيل ومهاراته وابتكاره للمعاني، والتي ترى بأنها مختلقة من العدم واختراعه الصور الفنية التي تهتز لها النفس إعجاباً وقدرته على الإبداع في إبراز المعاني، ويعد المتنبي الشاعر العربي الأقرب إلى التمثيل العام لعبقرية الشعر العربي الذي يقدم لنا إلى جانب شاعريته الفذة مادةً ثمينةً للتفكير والتأمل، ويعرض علينا نظراتٍ صائبةً في الحياةِ، وخواطر عن الإنسان جديرة بالنظر والاعتبار ليحلق في الآفاق ويصبح شاعر الإنسانية. وقد ربط في جانبٍ واسعٍ من أشعاره بين الثورة والتوجه القومي العربي. وأثر المتنبي في نتاج الشعراء لا تفي به آلاف البحوث غير أننا في هذا البحث نتتبع بإيجاز تطلعاته؛ وما يعزز الانتماء القومي وروحه وأصالته العربية، وتعرضه للأعاجم، وشدة عداوته لهم، وكانت حياته تمثيلاً ومعايشة للقيم التي نادى بها، وتطلع على إضفائها على الإنسان العربي، وعلى هذا أحبته العرب لأنه عريقٌ في عروبته شديدٌ في جهاديته، فضلاً عن شاعريته الفذة وتقنيته الفنية العالية.

ولا غرو فالتاريخ يعيد نفسه؛ وما أشبه الليلة بالبارحة فإذا كانت الأمة في عصر المتنبي تمر بمأساة فإنها تمر في عصرها هذا بمئات من المآسي، وهذه من المسلمات التي جعلت الشعراء يتأثرون بالمتنبي، وقد ارتبط شعر اليمن الحديث بالتراث والثورة في أغلبه الأعم وإلى إرث المتنبي وزمنه المتجدد على وجه الدقة والتحديد، ودليلنا في ذلك قصائد الشعراء، فقد تزامنت مع أحداث تاريخية مزدحمة ومنعطفات مهمة، وأدى ذلك إلى استلهام ما كان يروى عن تلك الأحداث، لاسيما أن معظم الشعراء قد عاشوا في خضمها وتجاذبتهم أطرافها، والدليل الآخر

على ذلك أن شعر اليمن يسجل أنموذجاً للشعر الملحمي في الشعر العربي الحديث.

وعلى هذا الأساس انطلقت رحلتي في عالمين اثنين لا ثالث لهما الأول: (المتنبي)، وقد صحبته في هذه الرحلة الفنية والأدبية، وكانت من دون شك جميلة وشائقة وممتعة، فهو شاعر العربية الذي مضى على مقتله أكثر من ألف عام؛ ولا يزال شعرهُ على كل لسان، وحكمه تزين أساليب أرباب الفصاحة والبيان، فكأنه يمشي في الجو وسائر الشعراء يمشون في الأرض، ليس في عصره فحسب، بل إلى يوم الناس هذا، فماذا نقول عن هذا الشاعر الذي أسكت أهل زمانه، وأسكتنا اليوم أيضاً؟، وذاع صيته، وطار في الآفاق ليتبوأ إمارة الشعر العربي في عصوره كلها، ولا عجب أن يكون شاعر العصر الحديث من دون منافسة تذكر.

والآخر: عالم الشعر اليمني الحديث، والذي ارتبط بالثورة والتراث[1]. كما ظلَّ شعر اليمن الحديث "الصوت الوحيد الذي تتردد فيه أنفاس الشعب المغلوب على أمره، بل نستطيع أن نقول إنّه الصوت الوحيد الذي ظلَّ على الرغم من معاناة الشعراء من سجنٍ وتشريدٍ وإعدام يقاوم الطغيان"[2] ويضرب بكل ما يملك الدعوات الطائفية والتجزئة الهدّامة. لقد انبتت اليمن "نجوماً في سماء الشعر وبطولات في دنيا القلم والنضال معاً، ولم تنبت شعراً عادياً، وإنما شعراً تعطره البطولة من أجل الحرية والعروبة"[3]. لقد أنجبت اليمن في عصرها الحديث "صفوة من الشعراء الذين أسهموا

---

(١) التراث لغة: أن يكون الشيء لقومٍ ثم يصير إلى آخرين بنسب أو سبب، ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ١٠٥/٦.

والتراث اصطلاحاً هو "ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب وخبرات وفنون في شعبٍ من الشعوب، وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي والإنساني والتاريخي والخلقي يؤثر علاقته بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه)).

المعجم الأدبي، جبور عبد النور، ص٦٣.

(٢) الشعر في إطار العصر الثوري، د. عز الدين إسماعيل، ص ٨١.

(٣) شعراء اليمن المعاصرون (مقال) عبد الله ركيبي كتاب مقالات في النقد الأدبي، مجموعة من الكتاب العرب، ١١٨- ١١٩ .

إسهاماً فعالاً في دفع عجلة التطور الأدبي والانطلاقة الشعرية الصاعدة في الوطن العربي" [1].

وتأسيساً على هذا "سجل الشاعر اليمني في مختلف مراحل النضال أروع صور البطولة والتضحية والفداء التي جعلته يتميز بها في كفاحه ضد الاستعمار البريطاني ونظام الإمامة وصراعه مع التشطير وصموده في مواجهة التحديات المعاصرة، وكان صوت الشاعر اليمني هو الرصاصة الثانية التي اخترقت صدر الأعداء، إذ سجل الشعراء أحداث الثورات بكل دقة، فضلاً عن فاعليتهم وحماسهم الثوري في صنع الثورة والحفاظ على مبادئها وأهدافها القومية والوطنية، وعدم التفريط في الثوابت وتتصدر الوحدة اليمنية الثوابت جميعها[2].

وقد حمَّل شعراء اليمن كلماتهم الشعرية؛ وقصائدهم كافة مضامين تراثية مهمة وفاعلة من تراث المتنبي، وفيها ما يعمق تجربتهم الشعرية، وقدموا أنموذجا فذّاً لإحياء التراث العربي، وتراث المتنبي منه على وجه الخصوص، ولعل قصائدهم في أغلبها لم تبارح شعر المتنبي أبداً، فقد وظفوها لمعالجة حاضرهم العربي واليمني على وجه الخصوص، وشحنوها برؤى جديدة ومضامين عصرية.

وقد كنت أخشى أن أظلم شعراء اليمن، وأنا أتلمّسُ أثر المتنبي في شعرهم، وذلك لأن المتنبي له مكانته المتفردة في عالم الشعر العربي كله، فقد كان يدافع عن العروبة بكل ما فيها من قيمٍ ومثل، وكان "أقوى شعراء العربية نبضات قلب، وأبعدهم منزع فكر، وأعمقهم حكمة وأصدقهم إفصاحا عن خفايا النفس وأعرفهم بجهاديتها. فلا عجب أن يكون بعد ذلك أبعدهم شهرة وأخلدهم أثراً.

وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي في رصد تراث المتنبي تقصيها والتمثيل لها وتحليل بعض منها، وقد اعتمدنا تراث المتنبي وفاعلية مضامينه وتقصيها، فضلاً عن التمثيل بما يحلو لنا من شعر المتنبي وتحليل بعض منه، وقد اقتضى الأمر أن نقسم كتابنا هذا على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة مذيلة

---

(١) شعراء اليمن المعاصرون (مقال) حميد الهدو، ضمن كتاب مقالات في النقد الأدبي، ١٥٢.

(٢) ينظر: المضامين الدينية والتراثية في شعر اليمن الحديث، فضل مكوع، ص٢٥.

بقائمة المصادر والمراجع.

أما التمهيد فقد عرجنا فيه بإيجازٍ تامٍ ما يجب أن يعرفه القارئ عن المتنبي وشاعريته وشهرته، وآراء النقاد فيه مدللين بنماذج يسيرة من حكمه الذائعة.

وقد تناول الفصل الأول توظيف أبيات المتنبي وتحوير معانيها، واعتمدنا في ذلك على نماذج لعدد من شعراء اليمن منهم: السقاف والحامد والزبيري والحضراني والبردوني والمقالح وعبد الرحمن فخري وكرمان ومحمد أحمد منصور وغيرهم.

في حين ركز الفصل الثاني على المعارضات الشعرية وتداخل النصوص، وقد دللنا بنماذج شعرية مهمة كان للشعر الهمداني نصيب الأسد في ذلك، ولا يعني أن الأمر قد انحصر عليه فقد عارض المتنبي شعراء آخرون منهم الزبيري والشامي وعلي محمد لقمان والهمداني وغيرهم.

وخصص الفصل الثالث للغربة،فإذا كان للبعاد والغربة أثرها في شعر المتنبي، فإن ما تجرعه من جراء الغربة وحدها لم يتجرعه أحد من الشعراء، ولا شك في أن هذه الغربة بكل معانيها ودلالاتها قد أثرت في شعراء اليمن وكانت الملاذ الآمن لكثيرٍ منهم في مراحل النضال كافة، وعلى وجه التحديد الذين ذاقوا الأمرين، وقد ظهر ذلك جليّاً في شعر الزبيري و الحضراني والمقالح وغيرهم.

أما الفصل الرابع فقد تكفل بأسلوب القناع، وقد تقمَّص شخصية المتنبي عدد من شعراء اليمن، غير أن تركيزنا الأكبر انصب على البردوني في قصيدته (وردة من دم المتنبي)، لما تضمنته من رؤى وأفكار من حياة المتنبي وأحداثها، ولما اعتمدت عليه من الحوار والتفاعل، فضلاً عن المعاني والمضامين والدلالات ما يجعلها على ذلك القدر من التوظيف الفني، وقد تقمص الشاعر المقالح بعض مواقف المتنبي، وقد كان لهذا التقمص خصوصية مهمة،ولا يعني أن الأمر انحصر على هذين الشاعرين فحسب، فقد ركزنا على بعض النماذج التي تؤكد ما نحن بصدده. وقد ذيلت فصول الكتاب هذا بخاتمة أوجزتُ فيها ما توصلتُ إليه من نتائج أثبتت فيه أن مضامين المتنبي وفاعليتها قد شغلت معظم شعراء اليمن، وعمدوا إلى توظيف أحداث ثورته وجهاديته توظيفاً فنياً عصريًّاً، وقد ارتبط شعراء اليمن بشعره شكلاً ومضموناً، لأنه يعد عاملاً رئيساً ومقوَّماً من مقومات أمتنا العربية والإسلامية، ولأن في شعره ما يعزز

الانتماء العربي وروحه وأصالته، وفيه ما ينطق عن خواطر الناس ومشاعرهم، فضلاً عن أنه يعبر عمَّا يختلج بالشعراء أنفسهم، فحلّقوا في أجوائه من غير عائق، يستحضرون عزَّهم الخالد ومجدَهُم التليد، وركَّزوا على قصائد كثيرة من شعر المتنبي، فاستخدموا بعض أبيات المتنبي مابين تضمين أو استلهام أو تحوير معنى أو معارضة، أو تقمص شخصية الشاعر أو التعبير عن حادثة أو واقعة أو غير ذلك، وعمدوا إلى توظيف تراث المتنبي وشعره توظيفاً عصريًّاً بما يتلاءم وواقعهم المعيش.

وقد ذيَّلت خاتمة الكتاب هي الأخرى بمصادر الكتاب ومراجعه، ولا شك في أنني قد أفدت منها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، مما أثرى البحث طريقة أو فكرة أو منهجاً، وقد كان لأغلبها الحظ الأوفر في أن تنير صفحات البحث،وهي التي أشرنا إليها في هوامشه ومصادره و تتصدرها دواوين الشعراء.

وكان لها الفضل بعد الله سبحانه وتعالى على إخراج هذا الكتاب إلى النور بعد أن كان خلاصة لجهود جهيدة بذلتها بصدق وإخلاص، وقد كانت بذرته الأولى في العام التحضيري لدراسة الماجستير في قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة بغداد سنة ١٩٩٨م بعد أن كلفني الأستاذ الفاضل الدكتور عناد غزوان إسماعيل أستاذ النقد الأدبي رئيس قسم اللغة العربية (رحمه الله وغفر له) بكتابة بحث بعنوان (فاعلية التراث في شعر عبد العزيز المقالح)، وقد كان من محبيه ومشجعيه، وكان يثني عليه كثيراً في محاضراته، وفي الوقت نفسه كان مفتخراً بصداقته له، ومعجباً شديد الإعجاب بشاعريته، والثاني لا يختلف عن سابقه وهو بحثي المعنون ب(أثر المتنبي في شعر اليمن الحديث) وكنت قد قدمته، في العام التحضيري لدراسة الدكتوراه في قسم اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة الكوفة سنة ٢٠٠١م بعد أن كلفني أستاذي الفاضل الدكتور علي كاظم أسد بكتابة موضوع عن الشعر اليمني الحديث، ولا ريب في أن يكون عنوان هذا الكتاب في يومه هذا هو العنوان نفسه للبحث الذي كلفت به، وقدمته لأستاذي الفاضل جزاه الله عني وعن العلم خيراً، والجهد الثالث هو بحثي المعنون بـ (أثر المتنبي في شعر اليمن الحديث) وكنت قد قدمته إلى جامعة عدن، وألقيته في كلية التربية زنجبار في ٢٦/شباط/٢٠٠٧م ضمن البرنامج الثقافي لجامعة عدن للعام

الدراسي، والجهد الرابع هو بحث غير منشور، وهو في الطريق إلى النشر قدمته إلى مجلة التواصل بعنوان (أثر المتنبي في شعر الهمداني)، فضلاً عما أضفته إلى هذه البحوث الأربعة من جهود جهيدة أخرى.

وأنا إذ أقدم هذا الكتاب أتمنى من الله جل في علاه أن أحقق الفائدة المرجوة للقارئ الكريم فإن أصبت فهذه أمنيتي وأن أخفقت فقد بذلت ما بوسعي من جهد لتجنب ذلك، فالمرء يخطئ ويصيب وحسبي أني حاولت، وأرجو أن أكون غير مقصِّر في جهدي هذا، فإن وقع على الحال الذي ارتأيت، وبالمكانة التي أمّلتُ فذلك بتوفيق من الله لي وحسن تأييده، وإن وقع بخلافها فما قصرت في الاجتهاد، وإن حصل فأنا بشرٌ، وهذه أولى صفاته، فمهما كتب وأعاد وألف واستزاد فإنه لو نظر فيه نظرة أخرى لوجده ناقصاً، كما قال القاضي الفاضل: "إني رأيت أنه لا يكتبُ أحد كتاباً في يومه إلاّ قال في غده: لو غيّر هذا لكان أحسن ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر فالكمال لله وحده جل شأنه".

وبعد فإن من حق الوفاء علي أن أشكر كل من أعانني في إنجاز هذا الجهد وتقديمه لخدمة التراث الشعري وقدم لي النصيحة ووجهني بالتفاتةٍ علميّةٍ كريمة وأخص بالذكر من تحملوا مشاق هذا البحث، ووفروا للباحث أجواء ملائمة وشائقة للكتابة، وغاب عنهم ما غاب من عطف وحنان ودفء ومودة، وأخص بالذكر أمي الحنون وزوجتي الفاضلة وأولادي وإخواني وأخواتي الأعزاء، فقد بخلت عليهم بوقتٍ ثمينٍ ما كان أحوجهم إليه، وقد كان تأخذهم الشفقة بي، وهم يرون انقطاعي إلى أوراقي وكتبي وأخذتني الشفقة بهم وأنا أرى حرمانهم من كثير مما اعتادوه من جلساتهم معي.

والشكر موصول إلى كل العاملين في المكتبات، وعلى وجه الدقة والتحديد: مكتبة كلية التربية زنجبار ومكتبة الدراسات العليا والمكتبة المركزية بجامعة عدن، وقد ساعدتني هذه المكتبات على تخطي كثير من صعاب البحث بتوفيرها لي المصادر والمراجع المهمة.

إلى هؤلاء كلهم أقول جزاهم الله عني وعن العلم خيراً وجعلني ممن يدومون على حبهم ومودتهم وتواصلهم ولا يسعني أن أقول لهم جميعاً ما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. فضل مكوع

التمهيد

رحلة في عالم المتنبي

التمهيد

رحلة في عالم المتنبي

كان المتنبي عبقرية متميّزة قلّ نظيرها في الأدب العربي ممن سبقه أو جاء بعده من شعراء العربية، وأصبح شاعر الأمة الخالد، وشكلّ شعره ثقافةً واسعةً لا تحصر بحدود، ومعيناً ثراً استقى منه الشعراء ما يحلو لهم من فنه الرائع ولغته العذبة وفكرته اللطيفة وحكمته البليغة، ونسجوا على منوالها قصائدهم وإبداعاتهم، وأفادوا من موروثه الضخم وتأثروا به منذ عصره وحتى يوم الناس هذا

وقد كان المتنبي الشغل الشاغل لجهابذة الأدب ومتذوقيه، فضلاً عن شهادات أرباب البيان وأساطين اللغة، فقد قال عنه ابن رشيق القيرواني: "جاء المتنبي وشغل الناس وملأ الدنيا) [1] شغلهم بشخصيته وقوته وطموحه، شغل الناس بتيارات متناسجة من الشعر في حياته ومماته، وسيظل كذلك قَرين الشعر العربي المتفوق إلى ما شاء الله تعالى، وقد عبر عن ذلك بقوله :

أنام ملءَ جُفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم[2]

فالناس مشغولون بشعرِهِ منهمكون في عظمتهِ مستغرقون في دراسة شعره، وقال الواحدي في مقدمة شرحه لديوان المتنبي "إن الناس منذ عصر قديم ولّوا جميع الأشعار صفحة الإعراض مقتصرين منها على شعر أبي الطيب ناسين عما يروى لسواه" [3]، وشهادة الواحدي لها مكانتها فهو إمام اللغة والتفسير، وأحسن من شرح ديوان المتنبي، وعلق على هذه الشهادة الدكتور عائض القرني بقوله: "وحسبك بهذه الشهادة من أستاذ باقعة في معرفة الشعر، آية في تذوق البيان،ولو ذهبت تفكر في مدلول شهادته لوجدتها صادقة، فإن شعر هذا الرجل صار سمر الأدباء، ونشيد المسافرين، وسلوة الناس في مجالسهم ومذاكرتهم، وما رأيت عالماً جهبذاً، ولا

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ١/١٠٠.

(٢) شرح ديوان المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي٣/٢٦٧.

(٣) شرح ديوان أبي الطيب تحقيق وفهرسة فريد ريخ ديتربصي ١/١٠

أديباً لامعاً بعد المتنبي إلاّ وقد استشهد بشعره وردد أبياته"[1]" ما رأيت عالماً فذّاً جاء بعد المتنبي إلاَّ استشهد بشعره في معرض حديثه، من موعظةٍ وتفسيرٍ، أو سلوك أو تربية، أو تاريخ، وقد مسحت كتباً كثيرة شهيرة فإذا للمتنبي عشرات الأبيات منثورة في غضون هذه المجلدات" [2].

في حين قال العكبري وهو من الذين انكبوا لشرح ديوان المتنبي: "ولم أسمع بديوان شعر في الجاهلية، ولا في الإسلام شُرِحَ مثل هذه الشروح الكثيرة، و لا تداول في ألسنة الأدب من نظمٍ ونثرٍ أكثر من شعر المتنبي". فقد كان واحداً" من الشعراء القلائل الذين استطاعوا أن يجتازوا أكثر من عشرة قرون بالغة مع أهل كل قرن؛ وكأنه شاعرهم الذي أنجبوه في يومهم ذاك... فهم يتحدثون عنه، ويرجعون إليه ويختصمون فيه كما لو أنه مازال يعيش بين ظهرانيهم. فهو بحق شاعر العرب الذي تفرد بحبهم وإيثارهم له وتقبلهم له على غيره من عمالقة الشعر العربي الذين طرّزوا خيمة التاريخ" [3].

وكان شاعر العربية من دون منازع "فكأنه يمشي في الجو، وسائر الشعراء يمشون في الأرض"، فقد حلَّق في سماء الإبداع الشعري، كما يقول هو عن المعالي والرفعة:

ذي المعالي فليَعْلُوَنْ مَنْ تعالى ... هكذا هكذا وإلا فلا لا

شرفٌ ينطحُ النُّجُومَ بِرَوْقَيـهِ وَعِزٌّ يُقلقلُ الأجبالا[4]

---

(١) إمبراطور الشعراء (الشاعر الأسطورة)، د. عائض القرني،١٢١.

(٢) م. ن، ٦٣ .

(٣) المتنبي مالئ الدنيا و شاغل الناس، ص١٣.

(٤) شرح ديوان المتنبي ١٣٤/٣. والروق: القرن. والقلقلة: الحركة. وجمع جبل: جبال وأجبال. ويبدو أنه فسر مطالبه بمعاليه بهذا البيت فقال شرفك يزاحم النجوم في العلو، وعزك مثل الجبال وأرسى.

وفي قصيدة أخرى يقول :

سبقتَ السابقينَ فما تجارى ... وجاوزت العلوَّ فما تعالى

أقلِّبُ منكَ طَرفَي في سَمَاءٍ ... وإن طلعتْ كوا كبُها خصالا

وأعْجبُ منكَ كيفَ قدرتَ تنشا ... وقد أعطيتَ في المهدِ الكمالا[1]

وعلى هذا الأساس لازمت الشهرة المتنبي وتجسَدت بشخصه ولم تبارحه إلى غيره أبداً ، لازمته في حياته ولازمت تاريخه بعد موته ، إنها مرتكزةٌ على أسسٍ متينةٍ ودعائم قوية.. فقد بلغت شهرته غايتها ، وبهذا الشعر المتين خلد المتنبي ، وبنى شهرته ونقش اسمه على الصخر ، بينما خطَّ معظم معاصريه من الشعراء أسماءهم على الرمال.[2] فتلك هي وقفة من الوقفات النقدية المهمة التي تربط بين التراث والمعاصرة ، ولما كان البحث يتجهُ صوب الشعر العربي ، فقد كان الشعر اليمني الحديث في مقدمة تلك الاهتمامات ، ولأنَّ الشاعر المتنبي يمثل بقصائده ومواقفه وجه العرب المشرق في الشعر والبطولة والجهاد ، فقد كان التوجه إلى كتابة هذا البحث عن أثر هذا العملاق في شعر اليمن الحديث ، وكان تركيزنا على المتنبي لبادرة عظيمة واستجابة مثلى لرجلٍ سخَّر كلَّ إمكاناتهِ النضالية والفكرية والجهادية لمصلحة الأمة ، فقد حمل على هامه قضاياها المصيرية ، وجاهد أعداءها بسيفه ولسانه مجاهدة الأبطال ، وأدرك أعمق الإدراك مسؤوليته التاريخية في التاريخ والجهاد.

والمتنبي هو الأنموذج الصالح لتمثيل خصائص الشعر العربي قديمه وحديثه في قدرته على التخيل ومهاراته وابتكاره للمعاني ، والتي ترى بأنها مختلقة من العدم واختراعه الصور الفنية التي تهتز لها النفس إعجاباً. وقدرته على الإبداع في إبراز المعاني ، ويعد المتنبي الشاعر العربي الأقرب إلى التمثيل العام لعبقرية الشعر العربي الذي يقدم لنا إلى جانب شاعريته الفذة مادةً ثمينةً للتفكير والتأمل ، ويعرض علينا نظراتٍ صائبةً في الحياةِ ، وخواطر عن الإنسان جديرة بالنظر والاعتبار ليحلق في الآفاق

---

(١) م . ن ٣/ ٢٣١ -٢٣٢.

(٢) **شهرة المتنبي شهرة العظمة والفن الخالد ، محمد محمد توفيق ، ضمن كتاب (أبو الطيب المتنبي حياته وشعره) ، مجموعة من المؤلفين ، ص٨٦ - ٨٧ .**

ويصبح شاعر الإنسانية. وقد ربط في جانبٍ واسعٍ من أشعاره بين الثورة والتوجه القومي العربي. وأثر المتنبي في نتاج الشعراء لا تفي به آلاف البحوث غير أننا في هذا البحث نتتبع بإيجاز أثره في شعر اليمن الحديث، وما يعزز الانتماء القومي، وروحه وأصالته العربية، وتعرضه للأعاجم، وشدة عداوته لهم، وكانت حياته تمثيلاً ومعايشة للقيم التي نادى بها، وتطلع على إضفائها على الإنسان العربي،وعلى هذا أحبته العرب لأنه عريقٌ في عروبته شديدٌ في جهاديته،فضلاً عن شاعريته الفذة وتقنيته الفنية العالية، وصدق من قال "أمة شاعرها المتنبي لن تضيع لغتها" و"المتنبي شاعر العصور" و"أمة في رجل" إلى ما هنا لك من ألقابٍ وصفاتٍ مثلى تقمصها وتجسدت به . وقد وصفه الأستاذ مصطفى صادق الرافعي قائلاً: "إن هذا المتنبي لا يفرغ ولا ينتهي، لأن الإعجاب بشعره لا ينتهي ولا يفرغ،وقد كان نفساً عظيمة خلقها الله كما أراد وخلق لها مادتها العظيمة على غير ما أرادت فكأنما جعلها بذلك زمناً يمتد في الزمن، وكان الرجل مطويَّاً على سر ألقى الغموض فيه من أول تاريخه،وهو سر نفسه،وسر شعره،وسر قوته. وقال فيه الأمير شكيب أرسلان "المتنبي.. من كبار فحول الكلام الذين لم تنجب الإنسانية أمثالهم في آلافٍ من السنين، ولو أن المتنبي ترجمَ ديوانهُ إلى اللغاتِ الأوربيةِ بأقلام فصحاء يتقنون اللغتين المترجم منها والمترجم إليها،لعرف الأوربيون من فصاحة العرب وتحليقهم في سماء الأدب ما هو فوق تصورهم الحالي" [1]، فالمتنبي نجمٌ ساطعٌ طار ذكره، وشاع بيانه و"لسان إبداع الأولين ولسان إبداع في الآخرين، وهو شاعرٌ سرمديٌّ،لا يختص بعصرٍ ولا بمصر، فأين كانت الإنسانية؟ وأنى كانت؟ فالمتنبي مثلها الأعلى في الفصاحةِ والبلاغة"[2]، فقد حلق في الآفاق وليس هناك شاعر مثله اتسع في فتوحات الكلام.

والحق أن ديوانه حظي بعناية فائقة من الدارسين قدامى ومحدثين، فشرح شعرَهُ وعلَّق عليه أكثر من أربعين شارحاً وناقداً من القدامى فقط[3]، أما المعاصرون

---

(١) أبو الطيب المتنبي حياته وشعره، مجموعة من المؤلفين، ص٧٣ .

(٢) م . ن ، ٧٣.

(٣) من أبرز شراح ديوان المتنبي: أبو عبد الله اللخمي الأندلسي (ت ٣٥٤هـ)، والوحيد البغدادي

فكتبوا عنه في كل مجلةٍ، وتحدثوا عنه في كل مهرجان شعري بل خصص له مهرجان كامل باسمه وعقدت له ندوات خاصة، وأقيمت أمسيات لأبي الطيب وحده وأعدت دراسات عنه وعن شعره وقدمت الرسائل في الماجستير والدكتوراه عن هذا الشاعر العظيم، وضمَّنَ الشعراء شعره في قصائدهم، واكتسبوا منه ما يحلو لهم، ومدحوه بقصائدَ كاملةٍ، واستشهد الخطباء بأبياته على المنابر، وفي المحافل، وقرئ ديوانه في مجالس العلماء، ومنتديات الأدباء وذيَّل الحكماء رسائلهم بشعره، وصَدّر الوزراءُ والأمراءُ والكتَّابُ والقادةُ خطاباتهم بأبياته، وترجم شعرهُ إلى اللغات الحية، وأقيمت مسرحيات باسم المتنبي، وكتب عنه المستشرقون وأعجبوا بشعره، وأولوهُ عنايةً فائقةً.. إلى ما هنا لك. وما كتب عنه لا يحصى بمئات البحوث، ولا بعشرات المجلدات، وخلاصة القول نؤكدها قطعاً أنه لم يحظ شاعرٌ بدراسة

(ت٣٨٥هـ)، وأبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، وعميد الدين محمد بن سهل الزوزني (ت ٤٠٤هـ)، وان فورجه البروجردي(ت ٤٥٥هـ)، أبو طاهر محمد المخزومي(ت ٤٢٤ هـ)، والهروي محمد بن آدم(ت ٤١٤ هـ)، والعروضي النحوي(ت ٤١٦ هـ)، والهراسي النحوي(ت ٤٢٥ هـ)، وابن دوسط النحوي(ت ٤٣١ هـ)، والأفليلي القرطبي(ت ٤٤١ هـ)، وأبو العلاء المعري(ت ٤٤٩ هـ)، والساماني أبو منصور(ت ٤٥٠ هـ)، وعبد القاهر الجرجاني(ت ٤٧١ هـ) ، وابن سيدة(ت ٤٥٨ هـ) ،وأبو الحسن المصيص الدلفي(ت ٤٦٠ هـ)، وأبو الحسن الواحدي(ت ٤٦٨ هـ) والشاماني أبو الحسين(ت ٤٧٥ هـ)، والأعلم الشنتمري(ت ٤٧٦ هـ)، وأبو حكيم الخبري(ت ٤٧٦ هـ)، والنهرواني النحوي(ت ٤٩٤ هـ)، وأبو مرشد سليمان بن علي المعري(ت ٤٩٥ هـ)، والخطيب التبريزي(ت ٥٠٢ هـ)، وابن القطاع السعدي(ت ٥١٥هـ)، وجار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، الواواء الحلبي الشيباني(ت ٥٣٨هـ)، وكمال الدين الأنباري(ت ٥٧٧هـ)، وفخر الدين الرازي(ت ٦٠٦هـ)، وأبو علي الصقلي(ت ٥٩٠هـ)، ومرهف بن أسامة(ت ٦١٣هـ) وتاج الدين الكني البغدادي(ت ٦١٣ هـ)، وابن المستوفي الأربلي(ت ٦٣٧هـ)، وابن عدلان الموصلي(ت ٦٦٦ هـ)، وابن القويع الجعفري(ت٧٣٨ هـ)، وابن العتائقي الحلي(ت٧٩٠هـ)، ويوسف المغربي(ت ١٠١٩ هـ)، والماغوسي المراكشي(ت١٠٢٠هـ)، وأبو فارس الفشتالي(ت١٠٣١ هـ)، وعبد القادر بن محمد الطبري (ت ١٠٣٣هـ)، وعثمان بن الخطيب، وناصيف اليازجي (ت١٨٧١م)، والمعلم بطرس البستاني (ت١٨٨٣م)، وسليم صادر، وعظيم الدين الشاهجان، ومحمد فيضي الزهاوي(ت١٨٩٠م)، وعبد الجواد السيد إبراهيم(ت هـ)، وعبد الرحمن البرقوقي(ت١٩٤٤م)، والدكتور عبد الوهاب عزام(ت ١٩٥٩م)، والعوضي الوكيل.

شعره مثلما حظي بذلك المتنبي، ولا أظن أن مكتبةً عربيةً واحدةً تخلو من ديوان هذا الشاعر العظيم، فضلاً عن الدراسات والمؤتمرات العلمية والندوات التي تناولت شعره من زوايا كثيرة، ولا أظن أيضاً أن قريةً عربيةً واحدةً لا يذكر فيها اسم المتنبي، وشعره الخالد إن لم يتكرر ذكره على الألسنة مرات في اليوم الواحد.

أما فيما يخص طلاب العلم بمختلف أعمارهم ومراحلهم التعليمية فإنهم شغوفون بهذا الشاعر، وشعره في مدارسنا العربية كلها، ولعل تلك العناية لم تأتِ عفو الخاطر، ولا من باب المصادفة فالعناية بشعره تركزت بشكل جليٍّ وملحوظ في أنه يعبّر عمّا يختلج بأنفسهم وتثيره مشاعرهم،فهو شاعر العرب المميز في العصور كلها، وهذه كلها كانت من دوافع هذا البحث، فضلاً عن نصوص المتنبي وتقنيتها وقيمتها ودلالاتها التي تمثل مرحلةً مهمةً من مراحل تطور الشاعر الفني الذي امتاز بملامح تجديدية تشكل قمة تطوره الفني وخصوصية التعبير والرؤيا بإملاء تجارب جديدة تغذي تجارب الشعراء على نحو ما ذكرنا، ولأن في شعره ما ينطق عن خواطر الناس، ويحفز الشعراء ويشد أزرهم، وذلك لأن في شعره ثورةً دائمةً متجددة لا تنطفي، ولا تخمد، ولعلَّ الوضع المتردي في عصره كان السبب الرئيس في البحث عن المنقذ، وقد كان المتنبي أهلاً لهذه المهمة، فالناظر لخارطة الدولة الإسلامية في عصره يجدها أوطاناً سياسيّة، ودويلات مشتتة متباعدة الأهواء والاتجاهات تتصارع مع بعضها سراً وعلانية[1]، فإذا كان الحكام لا يريدون هذا الوضع، فالمتنبي أعلن ثورته بوجههم جميعاً ووجه لمعظمهم صفعاً بسوطٍ من غضبه وهيجانه المتدفق.

وتأسيساً على هذا نجد شعراء العرب قد حمَّلوا كلماتهم الشعرية؛ وقصائدهم كافة مضامين تراثية مهمة، وفاعلة من تراث المتنبي، وفيها ما يعمق تجربتهم الشعرية، وقدموا أنموذجا فذّاً لإحياء التراث العربي وتراث المتنبي منه على وجه

---

(١) من هذه الدول: الدولة السامانية في تركستان(٢٦١ - ٣٨٩هـ)، والدولة الزيبارية في طبرستان (٣١٦ هـ - ٤٣٤م)، الدولة الغزنوية في أفغانستان والهند (٣٥١هـ - ٨٥٢ م)، والدولة البويهية بفارس (٣٢٠ هـ)، وقد تغلبوا على السلاجقة عام ٣٣٤ وسيطروا على بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية والدولة الإخشيدية بمصر (٣٢٣ هـ)، والدولة الحمدانية في الموصل وحلب (٣١٧ هـ - ٣٩٤ هـ).

الخصوص، ولعل قصائدهم في أغلبها لم تبارح شعر المتبي أبداً، فقد وظفوها لمعالجة حاضرهم العربي، وشحنوها برؤى ومضامين عصرية، فضلاً عن أن للمتنبي مكانته المتفردة في عالم الشعر العربي كله، فقد كان يدافع عن العروبة بكل ما فيها من قيمٍ ومثل. ولم أعرف شاعراً من شعراء العرب حظي من إعجاب الخاصة والعامة بمثل ما حظي به المتبي، وبرغم الزمن الطويل الذي مر على وفاته، وتغير الأحوال وتبدل المعايير الأدبية وتباين أساليب الفهم واختلاف الذوق فإن شهرته لم تخمد، ولا يزال اسمه سائراً على الألسنة وشعره مضرب الأمثال ومستودعاً من مستودعات الحكمة"[1]. وقد تعددت آراء النقاد وتباينت في دراسة شعر المتنبي وأمثاله على وجه الدقة والتحديد، وذهبوا بها كل مذهب، فلم يكتفوا باستخراج المقطوعات والأبيات التي يضرب بها مثل، بل حققوا الأمثال واستنبطوها من أنصاف أبياته منها:

مصائب قومٍ عند قومٍ فوائدُ[2]

ومن قصد البحر استقل السواقيا[3]

وخيرُ جليسٍ في الزمانِ كتابُ[4]

إنَّ المعارف في أهل النهى ذممُ[5]

وربما صحَّت الأجسام بالعلل[6]

إذا عظم المطلوب قلَّ المساعدُ[7]

ويستصحبُ الإنسان من لا يلائمه[8]

---

(١) هل كان المتنبي متديناً، (بحث) علي أدهم، ضمن كتاب (أبو الطيب المتنبي حياته وشعره)، مجموعة من المؤلفين ٨٩ .

(٢) شرح ديوان المتنبي ١ /٣٧.

(٣) شرح ديوان المتنبي ٢٨٧/٤.

(٤) شرح ديوان المتنبي ١٩٣/١

(٥) م. ن١/٣٧٥.

(٦) م . ن ٣ /٨٦..

(٧) م. ن١/٣٧٠.

(٨) م . ن ٣/٣٢٧.

وفي عنــق الحـــسناء يـــستحسنُ العقـــد[1]

أنـــا الغريـــق فمـــا خـــوفي مـــن البلـــلِ[2]

ولـــيس كـــل ذوات المخلـــب الـــسبع

لـــيس التكحـــل في العيـــنين كالكحـــلِ[3]

إن النفـــيسَ غريـــبٌ حيثمـــا كـــانَ[4]

في طلعـــة الـــشمس مـــا يغنيـــك عـــن زحـــلِ[5]

ومـــن فـــرح النفـــس مـــا يقتـــل[6]

وهناك أبيات ذاعت وانتشرت منها ، قوله:

إذا كنـت ترضـى أن تعـيش بذلّـةٍ لا تـستجيدنّ العتـاق المذاكيـا[7]

وقوله:

ومـن نكدِ الـدنيا على الحـرِّ أن يـرى عـدوّاً لـه مـا مـن صـداقتهُ بـدُّ[8]

وقوله:

فمـا يـدومُ سـرورٌ مـا سـررتَ بـهِ ولا يـردُّ عليـك الفائـتَ الحـزنُ[9]

وقوله:

مـا كـل مـا يتمنّـى المـرء يدركـه تجـري الريـاح بمـا لا تـشتهي الـسفنُ[10]

وقوله:

---

(1) م.ن٢/١٠.

(2) م . ن ٤/٢٨٢.

(3) شرح ديوان المتنبي ٣/٨٧.

(4) م . ن ٤/١٢٣..

(5) م . ن ٣/٨١..

(6) شرح ديوان المتنبي ٣/٦٩..

(7) م.ن ٣/٧٦..

(8) م.ن١/٣٧٥.

(9) شرح ديوان المتنبي٤/٢٣٤.

(10) شرح ديوان المتنبي /٢٣٦

إذا كانـــت النفـــوس كبـــاراً　　　تعبـــت في مرامهـــا الأجـــسـام[1]

وقوله:

ومـــراد النفـــوسِ أصـــغر مـــن أن　　　نتعـــادى فيـــه وأن نتفانـــى[2]

وقوله:

والهـــمُّ يخـــترِمُ الجـــسيمَ نحافـــةً　　　ويـــشيبُ ناصـــية الـــصبي ويهـــرمُ

ذو العقـل يـشقى في النعـيم بعقلـهِ　　　وأخـو الجهالـة في الـشقاوة يـنعمُ[3]

وقوله:

وكـل امـرئ يُـولي الجميـلَ محبَّـبٌ　　　وكُـلُّ مكـانٍ ينبـتُ العـز طيـبُ[4]

وقوله:

ترفـــق أُيهـــا المـــولى عليـــهم　　　فـــإن الرفـــق بالجـــاني عتـــابُ[5]

وقوله:

ومـــن العـــداوةِ مـــا ينالـــكَ نفعـــهُ　　　ومـــن الـــصداقةِ مـــا يـــضرُّ ويـــؤلمُ[6]

وقوله:

إذا غامـــرت في شـــرفٍ مـــرومٍ　　　فـــلا تقنـــع بمـــا دون النجـــوم

فطعـــم المـــوت في أمـــرٍ حقيـــرٍ　　　كطعـــم المـــوت في أمـــرٍ عظـــيم[7]

وقوله:

ومـا قتـل الأحـرار كـالعفو عـنهم　　　ومـن لـك بـالحر الـذي يحفـظ اليـدا[8]

---

(١) م. ن ٣/٣٤٥.

(٢) م. ن ٤/٩٨ – ١٠١.

(٣) م. ن٤/١٢٤

(٤) م. ن١/١٨٣.

(٥) م. ن١/٧٩

(٦) شرح ديوان المتنبي ٤/١٣١

(٧) م. ن ٤/١١٩

(٨) م. ن

وقوله:

نعـــــد المـــــشرفيّة والعـــــوالي ... وتقتلنـــــا المنـــــون بـــــلا قتـــــالِ

ومـــن لم يعـــشق الـــدنيا قديمـــاً ... ولكـــن لا ســـبيل إلى الوصـــالِ[1]

وقوله:

يـــا مـــن يعـــز علينـــا أن نفـــارقهم ... وجـــداننا كـــل شـــيء بعـــدكم عـــدم

إذا ترحلـــت عـــن قـــومٍ وقـــد قـــدروا ... أن لا تفـــارقهم فـــالراحلون هـــمُ

يـــا أعـــدل النـــاس إلا في معاملتـــي ... فيـــك الخـــصام وأنـــت الخـــصم والحكـــمُ

أعيـــذها نظـــراتٍ منـــك صـــادقةً ... أن تحـــسب الـــشحم في مـــن شـــحمه ورمُ

ومـــا انتفـــاع أخـــي الـــدنيا بناظـــره ... إذا اســـتوت عنـــده الأنـــوار والظُلـــمُ

هـــذا عتابـــك إلاَّ أنَّـــهُ مِقـــة ... قـــد ضـــمنَ الـــدرّ إلاَّ أنَّـــهُ كلـــمُ[2]

فهذه الرحلة القصيرة تجعلنا نتساءل ونقول هل من المعقول أن تمر هذه المعاني ومضامينها ودلالاتها من دون تريَّث أو تأمل أو تفكر؟ وفي الوقت نفسه هل يعقل أن يكون التأمل محدوداً وعفويَّاً؟ إننا نؤكد قطعاً أن من يقرأ شعر المتنبي وسيرة حياته والأحداث الكبيرة التي عاصرها، وعبر عنها بكل تفاصيلها بذلك الشعر الفني الذي شغل الناس في يومهم، وظل الشغل الشاغل إلى يوم الناس هذا لسهر الليالي لحفظ شعره وإنشاده ودراسته من دون تردد لكي يفيد منه في خلق أجواء ملائمة ورؤى خاصة يعالجها بنصه الجديد بعد أن رأى نفسه ممزقة بسبب تردي الأوضاع وتزاحم التحديات المعاصرة.

---

(١) م.ن٣/٨

(٢) شرح ديوان المتنبي ٣٦٢- ٣٧٠.

الفصل الأول

توظيف أبيات المتنبي وتحوير معانيها

الفصل الأول
توظيف أبيات المتنبي وتحوير معانيها

لقد اختلفت آراء النقاد عن استحضار التراث وتوظيفه وتحويره واستلهامه وتحوير معانيه،وتوظيف مضامينه، فيرى أحدهم أن التراث "يعني استخدام معطياته استخداماً فنيّاً وإيحائياً وتوظيفها رمزياً لحمل الأبعاد المعاصرة للرؤية الشعرية للشاعر على معطيات التراث ملامح معاناته الخاصة، فتصبح هذه المعطيات معطيات تراثية معاصرة تعبر عن أشد هموم الشاعر المعاصر خصوصية ومعاصرة في الوقت الذي تحمل فيه كل عراقة التراث"[(١)] . ومع ذلك فإننا نتابع أثر المتنبي في شعر اليمن الحديث ونحن على ثقة من أن شعراء اليمن قد عمدوا إلى استحضار تراث هذا الشاعر وتوظفيه توظيفاً فنيّاً ونقصد بالتوظيف الفني: الاستخدام الواعي والخلاق لدرجة تصل إلى الإبداع في إعادة تشكيل المعطى التراثي على وفق رؤيا متميزة بخصوصية منفردة وبتقنية فنية عالية مع تحميله دلالات معاصرة،عاكساً مدى وعي الشاعر بتراثه .

على هذا فإن استحضار المعطى التراثي في الشعر"لا يعني أنّه قد عدَّ توظيفاً فنيَّاً، إذ إنَّ التوظيف الفني يعني الاستخدام الواعي والخلاق لدرجة تصل إلى الإبداع في إعادة تشكيل المعطى التراثي على وفق رؤيا شعرية خاصة بالشاعر، لما يتلاءم وطبيعة المعطى التراثي إلى جانب تحميله دلالات معاصرة جديدة لا تقف عند حدود العصر فحسب،بل إنها قد تتجاوزه"[(٢)]. تفاعل الشاعر اليمني الحديث مع المتنبي تفاعلاً واضحاً وحاول أن يحاكي نصوصه الشعرية في كل المواقف والأحداث التي مر بها ويصور في الوقت نفسه عمق حالته التي كثيراً ما يعتريها الهم والسأم بسبب الوشاة والحساد، فضلاً عن الأعداء الأعاجم، وقد لجأ شعراء اليمن إلى توظيف

---

(١) توظيف التراث العربي في شعرنا المعاصر(مقال) د. علي عشري زايد، مجلة فصول، مجلد ١، عدد ١،١٩٨٠.

(٢) استلهام التراث في شعر عبد العزيز المقالح، خديجة حسين أحمد المغنج، ص٣٠٥.

البيت الشعري للمتنبي أو تحوير معانيه أو استلهامه أو تحوير جزئي لجملة أو لعبارة أو لمطلع القصيدة أو للجملة التي يبدأ بها هذا المطلع،ودليلنا على ذلك عبارته (واحر قلباه) التي تكررت كثيراً في الشعر اليمني المعاصر، فقد ضمنها عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، ليعبر عن عمق مأساته وحزنه العميق في قوله :

(واحر قلباه) من فقدي خائفة   يعين في رفعها من ذلك النفقُ [1]

ولا شك في أن بيت المتنبي:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي   وأسمعت كلماتي من بهِ صممُ[2]

قد ضمن معناه عدد من الشعراء اليمنيين، فهذا الشاعر طارق عبد السلام كرمان يقول في قصيدته (يا مآذن صنعاء.. عانقي الحرما) يقول

يا صانع المجد في أرضٍ رسخت بها   دهراً فأصبحت فيها الرمز والعلما

أنت الذي أبصر الأعمى صنائعه   وأسمع القول منه الصم والبُكُما[3]

فالشاعر هنا مدح الرئيس صالح في حين ذهب المتنبي يفخر بنفسه، وفي بلاط ممدوحه سيف الدولة.

ويتكرر المعنى نفسه لدى الشاعر علي عبد الرحمن جحاف في قصيدته (يا قائد الخيل والفرسان)، إذ يقول:

أنا الذي تنصت الدنيا إلى لغتي   إذا نطقت ويبكيها صدى شجني [4]

ويأتي المعنى أكثر قوة في قول الشاعر محمد أحمد منصور في قوله:

وأنا الذي إن قلت شعراً جلجلت   أصداؤه كالرعد في الآفاقِ[5]

وفي هذه القصائد نلمس أثر المتنبي في كثير من أبياتها، وعلى وجه الخصوص في سيفيَّاته، فما من قصيدة من ديوان (القائد في وجدان الشعب)، ومثله كثير من

---

(١) ديوان: السقاف، ص ٣٢.

(٢) شرح ديوان المتنبي ٨٣/٤.

(٣) القائد في وجدان الشعب، ١٦٦

(٤) القائد في وجدان الشعب، ص ٣٥٥.

(٥) م. ن، ص ٤٣٣

قصائد المديح التي قيلت في رئيس اليمن إلا وكأننا نقرأ قصائد المتنبي التي مدح بها الفارس العربي المجاهد سيف الدولة الحمداني حامي الثغور، وقاهر الروم، والتاريخ يعيد نفسه في شعر اليمن الحديث، فنحن نقرأ قصيدة مديح واحدة عبّرت بها مئات القصائد تعبيراً صادقاً عن قائدٍ ومجاهدٍ عربيٍّ، وحد اليمن، وأسس دولته الكبرى في العصر الحديث، وصنع من الإنجازات والمكاسب لشعبه ووطنه ما تبقى خالدة إلى أبد الدهر. غير أن الفساد المستشرى في اليمن، قد يؤثر على قيادته، ويحط من منزلته إذا لم يتخذ إجراءات حاسمة تجاه المخلين والعابثين.

لقد شكل شعر المتنبي نموذجاً فنيّاً عالياً ومثالياً لجميع الأنماط الشعرية العربية المتطورة، ومعيناً ثراً استقى منه شعراء اليمن سلامة الأداء وقوة التعبير ووضوح الفكرة وكان لشعره حضور في شعر اليمن الحديث، فضلاً عن مواقفه الجهادية المتميزة، والتي عبر عنها بصورة فنية متميزة، وعلى هذا عمد الشعراء إلى توظيف أبيات من قصائد للمتنبي، أو إلى استيحاء مضامينها، ليفصحوا عما يختلج في صدورهم من دون اللجوء إلى إيراد الأبيات كاملة، ولم تغب معركة الحدث التي صورها المتنبي في شعره عن الشعر اليمني الحديث، فقد عقد السقاف الصلة في قصيدة له وقصيدة المتنبي في معركة الحدث الحمراء، مستفيداً من المفارقة بين عصر المتنبي وعصره، وقد وظف الشاعر السقاف صورة جزئية من عناصر صورة المتنبي في وصفه لجيش سيف الدولة، بقوله:

خميسٌ بشرق الأرض والغرب زحفه وفي أُذن الجوزاء منه زمازم [1]

وقال السقاف:

كأن كل خميسٍ في تموجه سيل يدحرج أجبالاً تدفقه [2]

فهو يشبه ضخامة الجيش وامتداد زحفه كما صوره المتنبي.. وفي هذا التوظيف دلالات كثيرة منها قوة الجيش وكثرته، فضلاً عن العزيمة، والإصرار نحو تحقيق النصر، فإذا كان هذا قد حققه سيف الدولة في معركة الحدث الحمراء، وألحق

(١) شرح ديوان المتنبي ٣/٣٨٤ .

(٢) ديوان السقاف، ٤٠٩.

هزيمة كبيرة بالروم، فإن التاريخ يعيد نفسه وهذا ما قصد إليه السقاف بعد أن عمد إلى صورة متكونة من الجيش في وتموجه وشبها بصورة سيلٍ عرمرم يدحرج أجبالاً تدفقه، فجعل وجه الشبه صورة منتزعة من جوانب منتزعة الأجزاء في إطار متكامل لا يسهل فصلها.

وقد عمد الشعراء إلى تضمين أبيات أخرى للمتنبي، منها قوله:

والهجر أقتل لي مماً أراقبُهُ   أنا الغريقُ فما خوفي من البَلَلِ[1]

فقد ضمن الشاعر صالح بن علي الحامد في قصيدته (سيد الوجود) بقوله:

أنا الغريق فما خوفي وما وجلي   إذا أخذت بحبلٍ منك ممدود[2]

وكانت بعض ألفاظ المتنبي ومعانيها قد تكررت في قصيدة الحامد، إذ يقول :

لما خبت نار كسرى بات مرتبكاً   محرق القلب في حزن وتسهيد

كما تكررت ألفاظ أخرى في القافية منها (السود، محمود، الأغاريد، الأماليد، الجلاعيد، المواعيد، تغريد، منكود، معبود، الصناديد، البيد، عنقود، المناكيد، الصيد، مولود، موعود... إلى ما هنا لك.)

من المعروف أن المتنبي كان أكثر الشعراء تأثيراً في الشعراء اليمنيين من دون منازع، ولعل هذه الملاحظة هي التي دفعتنا لكتابة هذا البحث،ولعل الشعراء لا يكتفون بمعارضة قصائده، واستعارة الأصداء الموسيقية لأوزانه وقوافيه، بل إنهم يتمثلون مواقفه في شعرهم، وقد جاراه الزبيري في كثير من قصائده، إذ يقول في قصيدته (صخرة):

مالي وللدنيا نزلتُ فِناءَها   فاستقبلتني حربها الشعواءُ[3]

فقد تأثر الزبيري بموقف المتنبي في قوله:

فمالي وللدنيا طلابي نجومها   ومسعاي منها في شدوق الأراقمِ[4]

---

(١) شرح ديوان المتنبي ٣/٧٥.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة (على شاطئ الحياة)، ص٣٤٦ .

(٣) الأعمال الشعرية (ثورة الشعر) ١٦٣.

(٤) شرح ديوان المتنبي ١١١/٤. والأراقم: جمع أرقم وهو ضرب من الحيات.

ويبدو أن الزبيري أكثر حرصاً على الانتفاع بتراثية نص المتنبي حين يستدعي جزءاً أصيلاً في بناء قصيدته حتى بلغ به الأمر في قصيدته (ملحمة بور سعيد) أن يقول :

وَمَـــنْ يَطعَـــمُ المـــوت مِـــن نعِلـــهِ   كمَـــنْ يطعـــمُ المـــوت مِـــنْ نـــصلِهِ[1]

فهو مشابه لتركيب بيت المتنبي القائل:

ومـــن في كفـــه مـــنهم قنـــاةٌ   كمـــن في كفـــه مـــنهم خِـــضابُ[2]

بل أقرب إلى قوله في البيت التالي:

فطعـــم المـــوت في أمـــر حقـــيرٍ   كطعـــم المـــوت في أمـــرٍ عظـــيم[3]

ولم تغب صور الفخر التي حفل بها موروث المتنبي عن الشعراء اليمنيين الذين وظّفوا هذه الصورَ في نظمهم تحويراً أو تضميناً لمعنى، فالزبيري يفتخر بنفسه، فكأنه صورة لاعتزاز المتنبي بنفسه، ويجسّد طموحه في الانطلاقة التاريخية للأمة العربية، وافتخاره بصور نضالها في مراحل إشراقها وعطائها وانتفاضة الإنسان العربي من السيطرة الأجنبية فيقول الزبيري مفتخراً في قصيدته التالية التي كتبها لولي العهد أحمد بن حميد الدين سنة ١٩٤٣م:

أشدو فتصغي لي الدنيا وتهتف بي   كأنني ملـك بالـشعر جـبَّارُ

إذا مـدحتك ظـل الكـون أجمـعه   كأنمـا هـو أسمـاعٌ وأبـصارُ

مـا كـان شـعري أنفاسـاً أرُدُّدهـا   لكنـه عاصـفٌ عـاتٍ وإعـصارُ

تـراه في الحـرب أسـيافاً يلـوح بهـا   وجـه الـردى وهوعنـد الـسلم أوتـار[4]

والمتأمل في هذه الأبيات يجد في جرس ألفاظها، وقوتها ما يتناسب وأجواء الفخر والاعتزاز التي رسمها المتنبي في كثير من قصائده، منها:

---

(١) الأعمال الشعرية "نقطة في الظلام"، ص٤٤٧

(٢) شرح ديوان المتنبي ١/٨٥ .

(٣) م٠ن ، ٤/١١٩ .

(٤) شعر الزبيري، ١٢٥.

أبـدو فيـسجد مـن بالـسوء يـذكرني ... ولا أعاتبـــهُ صفـــحاً وإهوانـــــا

وهكـــذا كنــت في أهلــي وفي وطــني ... إن النفــيسَ غريــبٌ حيثمــا كانــا[1]

ومـــا الـــدهر إلاَّ مـــن رواة قـــصائدي ... إذا قلـت شـعراً أصبـح الـدهر منـشدا[2]

أنـــا الـــذي نظـــر الأعمـــى إلى أدبـــي ... وأسمعـت كلمـاتي مـن بـهِ صـممُ[3]

وكذلك قال إبراهيم الحضراني:

لا أحــــب العــــيش إلا قمــــة ... إن تمــت في المــوت أعلــى القمــم[4]

وقد كان لهذه الصورة أثرها في وصف الهمداني لشعره، فقد قال في قصيدته (تمادي الأربعين):

أرســـلته عبقـــاً في الكـــون مؤتلقـــا ... يجـــرر الـــذيل تيهـــاً يخـــرق الـــصمما

عـــصرته مـــن حيـــاتي خالـــداً أبـــداً ... محبـــة وهـــوى في النـــاس مـــضطرما

وســـار في وهـــج الأحـــداث مـــشتعلاً ... ليلـــهب المجـــد في الإنـــسان والهممـــا

رســـول شـــوقٍ إلى الـــدنيا بمـــن حملـــت ... مـــضمِّداً ألمـــاً أو جامعـــاً أممـــا

يهدهـــدُ النـــور في بيـــداء مملكـــتي ... ويحطـــم الوجـــع المـــأفون والهرمـــا

يـــسبي العقـــولَ ويهـــديها إلى أدب ... يفجِّـــر العـــز فينـــا يرفـــع العلمـــا[5]

ولم يكن فخره بشعره في هذه القصيدة فحسب، ففي قصيدته (بشائر الوعد) يقول الهمداني من الكامل:

كـم جـاب فيـك العمـر شـعري مغرمـا ... والـــشعر يهـــدر صـــوته متمـــردا

أهـديك شـعر الأمـس واليـوم الـذي ... في نـــبض وحـــي الـــذكريات تـــرددا

قـد سـار شـعري في هـواكِ علـى المـدى ... أصـبحت في وصـف الجمـال مجـودا

---

(١) شرح ديوان المتنبي ٤/٢٢٣

(٢) م. ن ١/٢٩٠.

(٣) شرح ديوان المتنبي ٤/٨٣.

(٤) ديوان الحضراني ، ص ٢٤٢.

(٥) ديوان الهمداني، ص ٦٢- ٦٣

إنـــي رسمـــت الـــشوق في أحلامـــه شـــعراً بـــه ضـــلَّ المـــسافر واهتـــدى[1]

وقوله:

أصوغ مـن وحـي شـعري فيـك ملحمـة تبقـــى علـى الدهـــر لا يغتالهـا الـســأم

لقد وفق الهمداني في توظيف موروث المتنبي في كثير من قصائده، فقد كان يضفي على أجوائها مناخاً نفسياً يفيد في تعزيز المعنى، وقد نجد تضميناً جزئياً" فالهدف من هذا توظيف الشحنة الشعرية المشهورة في قصيدة الهمداني لتمنحها عمقاً وتأثيراً مضاعفاً. ففي القصيدة نفسها يقول:

وهفـــت تعـــاطيني الوصـــال وإنهـــا قــد صــيَّرت كــل الــورى لــي حــسّدا[2]

وقد عمد إلى توظيف بيت المتنبي:

أزل حـــسد الحـــساد عـــني بكبـــتهم فأنـــت الـــذي صـــيرتهم لـــي حـــسدا[3]

ويبدو أن كثيراً من الصور مشتركة بين الشاعرين،وتكرار ألفاظ بعينها أمرٌ لا مفر منه، وعلى الرغم من ذلك يبقى الابتكار بيِّناً والتفاوت ملحوظاً.

ولم أعرف شاعراً من شعراء العرب حظي من إعجاب الخاصة والعامة بمثل ما حظي به المتنبي، وبرغم الزمن الطويل الذي مر على وفاته، وتغير الأحوال، وتبدل المعايير الأدبية، وتباين أساليب الفهم، واختلاف الذوق فإن شهرته لم تخمد، ولا يزال اسمه سائراً على الألسنة، وشعره مضرب الأمثال ومستودعاً من مستودعات الحكمة"[4] . وقد تعددت آراء النقاد وتباينت في دراسة شعر المتنبي وأمثاله وحكمه على وجه الدقة والتحديد، وذهبوا بها كل مذهب، فلم يكتفوا باستخراج المقطوعات والأبيات التي يضرب بها مثل، بل حققوا الأمثال واستنبطوها من أنصاف أبياته منها:

---

(١) م. ن ، ص ٢٨.

(٢) ديوان الهمداني، ص ٢٧.

(٣) شرح ديوان المتنبي ١ / ٢٩٠.

(٤) هل كان المتنبي متديناً، (بحث) علي أدهم، ضمن كتاب (أبو الطيب المتنبي حياته وشعره)، مجموعة من المؤلفين، ص ٨٩ .

أبياته منها :

مـــــصائب قـــومٍ عنـــــد قـــومٍ فوائـــــدُ[1]

- ومـــن قـــصد البحـــر اســـتقل الـــسواقيا[2]

وخـــــيرُ جلـــيسٍ في الزمــــانِ كتــــابُ[3]

إنَّ المعــــارف في أهــــل النهــــى ذمـــــمُ[4]

وربمـــــا صــــحَّت الأجـــسام بالعلـــــل[5]

إذا عظــــم المطلـــــوب قـــــلَّ المـــــساعدُ[6]

ويستـــصحبُ الإنـــسان مـــن لا يلائمـــه[7]

وفي عنـــق الحـــسناء يـــستحسُ العقـــدُ[8]

---

(١) شرح ديوان المتنبي ٣٧/١.

(٢) م. ن ٢٨٧/٤.

(٣) شرح ديوان المتنبي ١٩٣/١

(٤) م. ن٣٧٥/١.

(٥) م . ن ٣ /٨٦..

(٦) م. ن٣٧٠/١.

(٧) م . ن ٣٢٧/٣. م . ن

(٨) م. ن١٠/٢.

أنـــا الغريـــق فمـــا خـــوفي مـــن البلـــلِ[1]

ولـــــيس كـــــل ذوات المخلـــب الـــــسبع

لـــيس التكحـــل في العيـــنين كالكحـــلِ[2]

إن النفـــــيسَ غريـــــبٌ حيثمـــــا كـــــانَ[3]

في طلعـــة الـــشمس مـــا يغنيـــك عـــن زحـــلِ[4]

ومـــــن فـــــرح النفـــــس مـــــا يقتـــــل[5]

وقد ربط المتنبي في جانب واسع من أشعاره بين الثورة والتوجه القومي العربي، إذ اتخذت بعض قصائده محوراً مهماً في شعر اليمن الحديث، ونلمح هذا واضحاً في بيت للشاعر علي لقمان:

مأســـاةُ شـــعبٍ في الحيـــاة معـــذّبٌ   ملـــهاةُ شـــعبٍ مـــستفيد نـــامِ[6]

ففي هذا البيت يستوحي الشاعر معنى قول المتنبي:

بـــذا قـــضت الأيـــامُ مـــا بـــين أهلـــها   مـــصائب قـــومٍ عنـــد قـــومٍ فوائـــدُ[7]

---

(١) شرح ديوان المتنبي ٢٨٢/٤.

(٢) م . ن ٨٧/٣.

(٣) م . ن ١٢٣/٤..

(٤) شرح ديوان المتنبي٨١/٣..

(٥) م . ن ٦٩/٣..

(٦) صحيفة الصباح الأسبوعية الجديدة، ١٩٧٢م ، ص نقلاً عن الأبعاد الموضعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن، ص ٤١٣.

(٧) شرح ديوان المتنبي، ٣٩٩/١

وحينما عمد المتنبي إلى تصوير الهم وقدرته على اخترام الجسيم في قوله:

والهمُّ يخترِمُ الجسيمَ نحافةً ويشيبُ ناصيةَ الصبي ويهرمُ

استثمر الهمداني مضمون هذا البيت في قصيدته(الوداع)، إذ يقول :

والموت يخترمُ النفوس وما درى أن الحياة مودّة وذمامُ (1)

وقد يتمنى المرء ما ليس عنده وقد تسعف الإنسان يوماً مطالبه

وقد يبلغ الغر الجبان مراده وقد تقتل العف الضمير رغائبه

وقد تسحق العقل السليم وشاية وقد تقتل الإنسان يوماً مواهبه (2)

فالشاعر من دون شك يحذر أبناء قومه من فتن الأعداء، وزيفهم، وحقدهم الدفين.

ولعل من أسباب سلوك نصوص الهمداني لطريق معارضة نصوص للمتنبي هو الإعجاب بتلك النصوص لما تملكه من إيحاء وأسلوب أو شهرة انجذب إليها ذوقه ودفعه يحاكيها ويدور في فلكها، فضلاً عن شخصية المتنبي الذي شغل الناس وملأ الدنيا، وعلى هذا كان نوعية العلاقة التي تقوم عليها النصوص المتعارضة حيناً والمتداخلة أحياناً أخرى هي علاقة التبجيل والاحترام والتضافر والتعضيد ودرجة التقارب فيما بينها تكون كبيرة والتركيب متشابه، والمقصدية تتجلى في المواقف، ولعل موقف المتنبي مشهودٌ له فهو القائل والثائر والفارس والمجاهد وما خاب أبداً من عارضه أو حاكاه، لأن من اقتفاه سيجسِّد من دون شكٍّ مواقفه. ويضفي عليها رؤية معاصرة لمعالجة الواقع المعاصر.ولا ضير فقد قدم الشاعر الهمداني في هذا العصر جهداً جهيداً فقد ارتبط اسمه بالإبداع الفني فضلاً عن هموم أمته ووطنه وما تتعرض له الأمة من تحديات خطيرة، فكان الهمداني خير من عبر عن تلك القضايا لا في قصائده فحسب، بل في كل كتابته النقدية والأدبية

---

(1) ديوان الهمداني، ص177- 178.

(2) م . ن 23 .

التي نافت على العشرين كتاباً موزعة على المجالات الأدبية والمسرحية والشعرية والترجمة، فضلاً عن الدراسات النقدية العميقة.

كذلك تأثر الشاعر إبراهيم الحضراني بالمتنبي، ومجده الشعري الذي يثير الهمم، وحكمه التي أحسن حبكتها، ومنها:

إذا مـــا النّـــاس جـــربهم لبيـــبُ   فـــإني قـــد أكلـــتهم وذاقـــا

فلـــم أرَ ودَّهُـــمْ إلا خـــداعاً   ولم أر ديـــنهم إلاّ نفاقـــا[1]

لقد تمرد المتنبي على عصره وأدان بعض مظاهره ورفضها، إذ يقول:

ومـــن عـــرف الأيـــام معـــرفتي بهـــا   وبالنـــاس روَّى رمحـــه غيـــر راحـــمِ

فلـــيس بمرحـــومٍ إذا ظفـــروا بـــهِ   ولا في الـــردى الجـــاري علـــيهم بـــآثمِ[2]

فقد استمد الشاعر الحضراني من هذه الأبيات فكرتها ومعانيها، وصاغ منها نظمه في مقطوعته التي يقول فيها:

هـــم النـــاسُ لا يحفظـــون الجميـــلَ   ولا يـــشكرون لمـــسدٍ يـــدا

فكـــن في قلوبهـــم رهـــبةً   لكـــي مـــا تكـــون لهـــم ســـيّدا

ولا تـــبنِ أمـــراً علـــى حبـــهم   فيـــذهب جهـــدك فـــيهم سُـــدى

هـــم النـــاس مـــا عبـــدوا في القـــديم   عظـــيم النـــوال كـــثير الجِـــدَى

ولكنـــهم عبـــدوا المفزعـــات   وباتـــوا لرهبـــتها سُجّـــدا[3]

أما البردوني فقد ضمن موروث المتنبي في كثير من قصائده تضميناً كاملاً يضفي على أجوائها مناخاً نفسياً يفيد في تعزيز المعنى، وقد نجد تضميناً جزئياً "

---

(١) شرح ديوان المتنبي ٢/٣،٣.

(٢) شرح ديوان المتنبي ١١٢/٤ .

(٣) ديوان الحضراني، جمع وتحقيق وتقديم علوان مهدي الجيلاني،ص٢٤٥. وينظر: القطوف الدواني، ص١٥٨. وينظر: شعراء اليمن المعاصرون، ص ٦٤. وإبراهيم الحضراني الإنسان والشاعر، ص٨٦.

فالهدف في كلا الأمرين واحد، وهو توظيف الشحنة الشعرية المشهورة في القصيدة البردونية لتمنحها عمقاً وتأثيراً مضاعفاً .ففي قوله:

فمـــن لم يمـــت في الجهـــادِ النبيـــل يمـــت خافـــت الأنـــف في المرقـــدِ[1]

نجده قد تأثر تأثيراً مباشراً بقول المتنبي:

يـــأنفُ مـــن ميتـــة الفـــراشِ وقـــد حـــلَّ بـــه أصـــدقُ المواعـــيـــدِ[2]

وربما تأثر بقول ابن نباتة السعدي:

ومـــن لم يمـــت بالـــسيفِ مـــات بغـــيرهِ تنوَّعـــت الأســـبابُ والـــداءُ واحـــدُ[3]

ويرد هذا البيت على ألسنة معظم القراء على أنه للمتنبي، وهؤلاء جميعاً تأثروا بقول أمية بن أبي الصلت:

مـــن لـــم يمـــت غبـــطة يمـــت هرمـــاً للمـــوت كـــأسٌ والمـــرء ذائقهـــا[4]

فالمتنبي كما يقول الدكتور مهدي علام له آراء "في الموت إسلامية بل قرآنية يقدر فيها أن الموت مصير كل حي لم ينجُ منه قيصر ولا كسرى، ولا ذو مال ظنَّ أن مالَه يغني عنه شيئاً، ولا بطل مغوار ضاقَ الفضاء بجيشه"[5]. ولا نستبعد أن الشعراء قد تأثروا بطرفة بن العبد القائل :

لعمـــرك إن المـــوت مـــا أخطـــأ الفتـــى لكـــالطول المُرخـــى وثنايـــاه باليـــدِ[6]

---

(١) ديوان عبد الله البردوني، الأعمال الشعرية (من أرض بلقيس) ١٩٣/١.

(٢) شرح ديوان المتنبي ٢٦١/١.

(٣) ديوان ابن نباتة السعدي: ١٨٧/١ . وينظر: وفيات الأعيان، ١٩٣/٣ .

(٤) أمية بن أبي الصلت حياته وشعره ، ص ٢٤١.

(٥) فلسفة المتنبي من شعره، د. مهدي علام، ١٦، نقلاً عن المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث ٤٠١.

(٦) ديوان طرفة بن العبد،ص ٥. والطول: الحبل الذي يطوّل للدابة فترعى فيه الإرخاء: الإرسال. الثن: الطرف. جعل الموت بمنزلة صاحب الدابة التي أرخى طولها فمتى شاء الموت قاد الفتى لهلاكه، ومن كان في حبل الموت انقاد لقوده.

ولكن لا يعني أن هذا المعنى وردَ في الشعر فقط، ففي كل هذه الأبيات إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ...... ﴾ النساء: ٧٨. كما جاء المعنى نفسه في قول الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه): "بادروا إلى الموت الذي إن هربتم منه أدرككم وإن أقمتم أخذكم" [١]

ومن هذه الرموز (أبو لهب)، فقد جعل منه البردوني رمزاً حياً لم يمت، وجعل منه رمزاً للحكام العرب المعاصرين الذين أساءوا إلى شعوبهم، بعد أن تقربوا من الأعداء على حساب الشعب العربي، وبعد أن باعوا ضمائرهم، وقدموا لعدوهم هدايا مجانية من دون مقابل. إذ يقول في قصيدته (أغنية من خشب):

لماذا العدوُّ القصيُّ اقترب؟	**لأن القريبَ الحبيبَ أغتربْ**
لأن الفراغ اشتهى الامتلاءَ	**بشيء فجاء سوى المرتقب**
لأن (أبا لهب) لم يمت	**وكل الذي مات ضوء اللهب**
لماذا الذي كان ما زال يأتي؟	**لأن الذي سوف يأتي ذهب** [٢]

ففي هذه القصيدة نلمح أثر المتنبي في تهكّمِهِ على الأعاجم، وعلى الذين ارتأوهم حكاماً لهم، فقد قال:

أرانبُ غير أنهمُ ملوكٌ	**مفتحةٌ عيونهُمُ نيامُ**
بأجسامٍ يحرُّ القتل فيها	**وما أقرانها إلا الطعامُ** [٣]

وقال أيضاً:

وإنما الناسُ بالملوك وما	**تُفلِحُ عُرْبٌ ملوكها عجمُ**
لا أدب عندهمُ ولا حسبُ	**ولا عهودٌ لهم ولا ذمم** [٤]

وفي البيت الأخير للبردوني تحوير لقول المتنبي:

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ٢٤٨/١ .

(٢) ديوان البردوني، الأعمال الشعرية (السفر إلى الأيام الخضر) ٦٦٢/١- ٦٦٦ .

(٣) شرح ديوان المتنبي ٧٢/٤- ٧٣ .

(٤) م ٠ ن ٥٩/٤ .

إذا كنـت مـا تنويـه فعـلاً مـضارعاً   مـضى قبـل أن تلقـى عليـه الجـوازمُ[١]

وتعد قصيدة المتنبي التي هجا بها إسحق بن إبراهيم الأعور مورداً عذباً استقى منه قصائد الشعراء ما يؤدي مهمته في استثارة أبناء الأمة لرد الخصوم وإذلالهم، ولعل تركيز الشعراء قد انصب في هذه القصيدة، فضلاً عن بيت القصيد منها:

لا يـسلمُ الـشرفُ الرفيـعُ مـن الأذى   حتَّـى يـراقَ علـى جوانبـهِ الـدَّمُ[٢]

والمتنبي يؤكد أن العلي المنزلة محسود في قومه، وعند خصومه، فلا يزال يرمى بالمكاره، ولا يبرأ شرفه من الأذى حتى يسيل الدم من جوانبه، وعلى هذا فقد يبعث الاحتفاظ بالشرف على سفك الدماء، وإزهاق الأرواح.

والبردوني في قصيدته (حكاية سنين) يعقد الصلة بينه، وبين المتنبي في كثير من المواقف والأحداث، فضلاً عن معركة الشرف الحمراء مستفيداً من المفارقة الموجودة فقال:

وهتفـت أغانيهـا تـضجُّ   "ليـسلم الـشرف الرفيـع"[٣]

فهو يشير هنا إلى انتصار الثورة، وإذا كان المتنبي قد رأى أنَّ الشرفَ الرفيعَ لا يسلم حتى يراق الدم على جوانبه، فإن البردوني أخبر المتنبي أنَّ الدمَ أريقَ ليسلم الشرف الرفيع. وفي قصيدته (سباعية الغثيان ..الرابع) لم يعبر البردوني عن معاناة العروبة والإسلام في هذا العصر فحسب، بل نرى الحزن قد شاطر معظم أبيات القصيدة التي تربو على ستين بيتاً وفي الوقت نفسه لم يغب عن باله الشاعر المتنبي العظيم فقد خاطبه وضمن أبياتاً له، ووظف مضامين مهمة في أكثر من ثمانية أبيات منها:

فيـا (احـمد بـن الحـسين) انهمـر   سـوى الـدمع نـاداك غـير الطلـلْ

---

(٥) شرح ديوان المتنبي ٣/٣٨٢

(١) م. ن ٤/١٢٥.

(٢) ديوان عبد الله البردوني، الأعمال الشعرية (مدينة الغد) ١/ ٥٧٣.. للاستزادة ينظر: أثر التراث في شعر عبد الله البردوني(رسالة ماجستير)، فاطمة عبد الله محمد عبد الحبيب، ص ١١٣.

أغـــار (الدمـــستق)؟ بـــل وامتـــطى إلى ظهرنـــــا وجهنــــا وانتعـــــلْ
سِـــــوَى الـــــروم روم، وروم أتـــــوا كعهـــدك رغـــم اخـــتلاف العلـــلْ
أتعرفهـــــم إنهـــــم مـــــن رأيـــــت وإن غـــــيروا خيلـــــهم والخـــــولْ

❖❖ ❖❖

و(عبـد الـخنى) نفـس عبـد الخنـى وإن عَـصْرَنَ الـشكلَ واسـمَ الحُلَـلْ
و(كيـــسنجر) الـــيوم نخاســـه لأن النخاســـــة صـــــارت دولْ

❖❖ ❖❖

وأحفـــاد (ضـبَّة) أضـحت لهـم جـــلالات ملـــك وجهـــل أجـــل
وحـــين يـــسود الغبـــاء الثـــري تكـــون العمـــالات أجـــدى عمـــل

❖❖ ❖❖

ممالكنـــا اليـــوم قامـــت علـــى ذيـــول العـــصي لا رؤوس الأســـل
ورغـــم العـــصي لا تقـــول الجمـــوع كأجـداها الخـير (فيمـا حـصل)

❖❖ ❖❖

ورغـــــم الكوافـــــير لا أنطفـــــي لعـــل احتراقـــي يـــذيب الفـــشل
أمـا كـل جـار أتـى كـي يجـيء ســـواه ...لكـــل بـــديل بـــدل[1]

ففي البيت الأول إشارة إلى مطلع قصيدة المتنبي :

أجاب دمعي وما الدَّاعي سوى طللِ دعـا فلبَّـاهُ قبـل الرَّكْـبِ والإبـلِ[2]

وفي البيت الثاني من هذا المقطع يذكر الشاعر اسم الدمستق، وهو قائد الروم في حروبهم مع سيف الدولة، وقد ورد في كثير من سيفيات المتنبي، وفي البيت الثالث ضمَّن الشاعر قول المتنبي :

وسِـوى الـرومِ خلـفَ ظهـركَ رُومٌ فعلـــى أيّ جانبيـــكَ تميـــلُ[3]

---

(١) ديوان البردوني، الأعمال الشعرية (زمان بلا نوعية) ٢ /٨٥٦- ٨٥٧ .

(٢) شرح ديوان المتنبي٣/ ١٨٢.

(٣) شرح ديوان المتنبي، ٣/١٥٧

فالمتنبي في هذا البيت يخاطب سيف الدولة طالباً منه أن يتوخَّى الحيطة والحذر بعد أن كثر أعداؤه من الروم وغيرهم ممن يخلفه من أمراء المسلمين، فهم روم يتربصون بك، وقد ظل هذا الصوت لوحة متجددة في قصائد أغلب الشعراء ليؤدي مهمة التنبيه إلى القوى الغاشمة والعناصر الخبيثة التي تتحين الفرص لتنفيذ أساليبها الملتوية، التي تهدف إلى تفتيت الوجود العربي وطمس معالمه.

وقد نعت الشاعر كافور الإخشيدي بـ(عبد الخنى)، وقد ورد هذا في هجائيات المتنبي له، وفي البيت الثامن ورد اسم (كوافير) جمع كافور مشيراً إلى كافور الإخشيدي، والى كثرة الكوافير في هذا العصر، ولعل التركيز على تجربة المتنبي مع كافور، وما واجهه عنده إلا تركيز على سوءات كافور وخذلانه والبردوني مع إدراكه لخطورة كافور، فإنه يرى أن الواقع المعاصر في وضع لا يحسد عليه، وفي حالة سيئة يرثى لها، والسبب بوجود كوافير كثيرة، ومتنوعة في هذا العصر، ولكن لا يعني أن البردوني أحبطنا، وأفقدنا التفاؤل، ولكنه أعطى لنا بصيصاً من الأمل بعد أن ركز على طموح المتنبي، فضلاً عن ذكره لرموز فاعلة وعلى وجه التحديد سيف الدولة، وفي هذا التوظيف دلالة معادة في النص المعاصر بعد أن بدت ملامح شعر المتنبي ماثلة للعيان في قصيدة البردوني، والتي توزعت في ثناياها مواقف المتنبي في كثير من مراحله .

وفي البيت السابع من المقطع ورد اسم قبيلة (ضبة) مهجوة المتنبي وقاتلته أيضاً ،وهي على جانب كبير من الغباء والوحشية كما أشار الشاعر .

وفي البيت التاسع إشارة إلى مطلع لامية المتنبي :

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل   والطعن عند محبيهن كالقبل[1]

ومن حكم المتنبي الذائعة:

من يهُن يسهل الهوان عليه   ما لجرحٍ بميّتٍ إيلام[2]

(١) م. ن ١٦٣/٣

(٢) شرح ديوان المتنبي، ٣٧٧/٤

إن النتاج الشعري يمثل الخزين الفكري للشاعر متفاعلاً مع التجربة التي تستقله وتبلوره وبحسب نوعها، وبهذا يكون خزين الخبرة العامة هو المادة التي يغترف منها الشعراء، وهي الإطار العام لتجربة البردوني في كثير من قصائده.

وقد كان لبيت المتنبي هذا أثره في قصيدة إبراهيم الحضراني (الرئيس جمال جميل العراقي)، كان قد رثى بها زميله الشهيد العراقي جمال جميل الذي قَدمَ إلى اليمن لتدريب جيش الإمام يحيى، وكان من أبرز الضباط، وقد آثر البقاء في اليمن، وعمل بإخلاص مع زملائه الأحرار، وكان أحد طلائعهم، ومن قادتهم، وقد واصل النضال حتى سقط شهيداً في اليمن دفاعاً عن الثورة، وكان أحد طلائع الأحرار اليمنيين، إذ يقول الحضراني:

حقـــرت مـــصابـك ويلـــها أم أنهـــا حـــسبتـــه جرحـــاً مالـــه إيـــلام[1]

كذلك الحال عند المقالح الذي كان أكثر الشعراء مقدرةً على استحضار الصور من التراث الشعري والإبانة عن مصدرها وأصلها القديم، وفي قصيدة المقالح "السفر في الذاكرة الأبجدية "والتي أهداها إلى روح الشهيد "علي عبد المغني"عمد إلى تضمين أبيات من الشعر القديم منها تضمين للعجز الأخير من بيت المتنبي(ما لجرحٍ بميت إيلام) [2]

ولا ريب في أن نلمح الأثر نفسه في قصيدة عبد الرحمن فخري (رقصة السيف والخيط الرفيع) والتي نقتطع منها هذا المقطع:

قال الراويْ

فيما قالْ

كان الأجدادُ بلا شعرٍ،

في سوق الشعرْ

يبكون " أبوللو" في الأطلالْ

وجواري الحرفْ

---

(١) ديوان الحضراني، ص ٤٣٣، وينظر: القطوف الدواني، ص ١٤٨.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة، ٦٥٤/٢ .

ويغنونَ ظريف الألحانْ

وينام الليل من الضحكاتْ عند الأقدامْ

ويناُم الشعرْ..فالشاعر أبله في القصرْ،

بين الندمانْ الشاعر مأجور الحرفْ،بين الأقنان،

يبني الكثبان من الزيفِ،

باسمِ السيف:

(طَرْفُ الأعينِ قاتِلُنَا)

قد قال الجد .

غزلٌ مكتوبٌ بالسِّيفِ،

وبحبر الموتْ

والغزلُ تُفَّاحُ الضِّيفِ،

في بيتِ الشِّعرْ.

(خيلٌ، ليْلٌ، بيداءْ

سيفٌ، رُمْحٌ، وقلمْ)

فالقلم أخِيْرٌ في الأرقامْ

القلمُ سلامْ

القلمُ سلامْ

والسيف بلا شكٍّ ظافرْ

جَدِّي، يا جَدِّي العاشرْ

سيفُكَ (أصدقُ إنباءُ)

من كتب العصر.

فقد استلهم الشاعر قول جرير:

إن العيـون الـتي في طرفهـا حـور   قتلننـا ثـم لا يحـيين قتلانـا[1]

وهذا البيت الغزلي يعد عند كثير من النقاد (أغزل بيت شعري) وقام بتحويل الغرض في الخطاب الشعري من الغزلي عند جرير إلى استصراخ في مواجهة التحديات، وهذا يعد من الظواهر التي منحت القصيدة المعاصرة بعداً فنيًّاً في قلب الصورة التراثية ودلالتها واستنباط صورة جديدة ذات مضمون مغاير للأصل.

وحينما نرجع إلى قصيدة فخري نجده يستعيض بأكثر من شاعر،ويحور بعض المعاني الأدبية التراثية إلى أن يلبي واقعه المعيش، وإن كان قد اتكأ على قولين مهمين لشاعرين كبيرين هما (أبو تمام والمتنبي) مستلهماً من هذا التوظيف قصيدتين لكل واحدة منها أحداثها ووقائعها وشخوصها، فضلاً عن الدلالات الأخرى. فاستلهم من أبي تمام قوله من قصيدته التي مدح بها الخليفة المعتصم، بعد انتصاره الكبير في معركة (عمورية) ومطلعها:

السيف أصدق أنباءً من الكتبِ   في حدّهِ الحد بين الجد واللعبِ[2]

فقد أفاد الشاعر من التضمين في خلق دلالة أو دلالات معاصرة، متخذاً من المضمون الأدبي ركيزة أساسية لتلبية مطالب عصره . في حين استلهم من (المتنبي) ما يعزز القوة والمجابهة والجرأة والشجاعة بأنواعها ومعانيها ودلالاتها مركزاً على قوله:

الخيل والليل والبيداء تعرفني   والضرب والطعن والقرطاس والقلمُ[3]

كثيراً ما نكرر في حديثنا (التاريخ يعيد نفسه) و(ما أشبه الليلة بالبارحَة)، فإذا كانت الأمة في عصر المتنبي تمر بمأساة كبيرة، فإنها تمر في عصرها هذا بمئات من المآسي، هذه من المسلمات التي جعلت الشعراء يتأثرون بالمتنبي، وقد ارتبط شعر اليمن الحديث بالتراث والثورة في أغلبه الأعم وإلى إرث المتنبي وزمنه المتجدد على وجه الدقة والتحديد، ودليلنا في ذلك قصائد الشعراء، فقد تزامنت مع أحداث تاريخية مزدحمة ومنعطفات مهمة، وأدى ذلك إلى استلهام ما كان يروى عن

---

(١) نقوش على حجر العصر، ص ٨٤ ـ ٨٥ .

(٢) ديوان أبي تمام، ص٤٠.

(٣) شرح ديوان المتنبي ٣/٣٦٦- ٣٧١.

تلك الأحداث، لاسيما أن الهمداني قد عاش في خضمها وتجاذبته أطرافها، والدليل الآخر على ذلك أن شعر اليمن يسجل أنموذجاً للشعر الملحمي في الشعر العربي الحديث، وعلى هذا لم يكن أمام الهمداني من بد من اللجوء إلى شعر المتنبي، لأن في شعره ما يلبي هذا الطموح لما فيه من عنفوان ثوري وجهادية فاعلة، فكان المحفز له لتصعيد نضاله، وقد اتخذت بعض قصائده محوراً مهماً في شعر الهمداني، نسج عليه كثيراً من مضامين قصائده بصورة مستمدة من رؤى الأحداث المعاصرة، وتعد قصيدة المتنبي (واحر قلباه) التي عاتب بها سيف الدولة الحمداني مورداً عذباً تستقي منه قصائد الشاعر لتؤدي دورها في استثارة أبناء الأمة لإذلال الخصوم والاستهانة بهم، فضلاً عن الوشايات وخطرهم الكبير على مقومات الأمة، ولعل تركيز الشاعر على هذه القصيدة قد انصب في قوله:

الخيل والليل والبيداء تعرفني   والضرب والطعن والقرطاس والقلمُ[1]

فقد أفاد الشاعر من التضمين في خلق دلالة أو دلالات معاصرة، متخذاً من المضمون الأدبي ركيزة أساسية لتلبية مطالب عصره، وقد استلهم من (المتنبي) ما يعزز القوة والمجابهة والجرأة والشجاعة بأنواعها ومعانيها ودلالاتها مركزاً على قصيدته (تمادي الأربعين) في قوله:

هبني حياة تعيد الحب في بلدي   كي أحمل السيف والقرطاس والقلما

وقد استنجد الهمداني بهذا القول بعد أن رأى ما رأى من ضعف وغفلة معاصريه من الحكام واستكانتهم. ولعل تأثر الهمداني بالمتنبي ليجسد البعد القومي الذي ارتآه في مراحل مهمة من حياته، وقد برز هذا البعد في كثير من قصائده إيماناً منه بوحدة الأمة من جهة وشعوراً بضرورة تحققها في مجابهة العدوان من جهة أخرى، ويلتحم البعد القومي بصورة أجمل في قصيدة (التتار في بغداد) للشاعر الهمداني. التي ستقف عليها في الفصل الثاني من الكتاب هذا.

---

(١) شرح ديوان المتنبي ٣/٣٦٦- ٣٧١.

الفصل الثاني

المعارضات وتداخل النصوص

الفصل الثاني
المعارضات وتداخل النصوص

وا حـــرَ قلبـــاه ممـــن قلبـــه شـــبِمُ ومَـــن بجـــسمي وحـــالي عنـــده ســـقمُ[1]

أفاد الشاعر صالح بن علي الحامد من صور متعددة في هذه القصيدة ليرسم بها صورة فنية لقصيدته (الأستاذ أبو بكر) التي يقول في أبيات منها:

روح العـــصامي تبقـــى في تـــشببها رغـــم الـــسقام ورغـــم الـــشيب والهـــرمِ

خبّرتـه فرأيـتُ الفـضل عـن كثـب فمـــا وهمـــتُ ولا استـــسمنت ذا ورمِ

هـــو المعلـــم فـــي أوطـــانهِ بطـــلٌ يكـــافح الجهـــلَ بالقرطـــاسِ والقلـــمِ

كـم أمـة دفنـت بالجهـل فـانغمرت عديمـــة الـــذكر والتـــاريخ في الأمـــمِ[2]

وفي البيت الأول إشارة إلى قوله :

مـا أبعـدَ العيـبَ والنُّقـصانَ عـن شـرفي أنـــا الثُّريَّـــا وذانِ الـــشّيبُ والهـــرمُ[3]

في حين يقودنا البيت الثاني إلى قول المتنبي:

أعيـــذُها نظـــرات منـــكَ صـــادقةٍ أن تحـسبَ الـشَّحم فـيمن شـحمُه ورمُ[4]

بينما البيت الثالث هو تحوير لبيت المتنبي:

الخيـــل والليـــل والبيـــداء تعـــرفني والـضرب والطعـن والقرطـاس والقلـمُ[5]

فإذا كان المتنبي قد عبر عن خيبة أمله من ممدوحه ورفيقه في الجهاد طيلة تسع سنوات الذي يبدو وكأنه قد استسلم للوشاة على الرغم من إخلاص المتنبي له، وقد كان يرجو من الأيام أن تخلق من سيف الدولة قائداً كما يريد طموح المتنبي،

---

(١) شرح ديوان المتنبي ٣/٢٦٢.

(٢) الأعمال الكاملة (على شاطئ الحياة)، ص ٣٣٢ - ٣٣٤.

(٣) م. ن٣/٣٧١.

(٤) شرح ديوان المتنبي ٣/٣٦٦.

(٥) م. ن ٣/٣٦٦- ٣٧١.

وقد كان سيف الدولة قبل هذا الموقف متمسكاً بالمتنبي، فلم يظفر الأدب العربي في عصوره كلها بمثل هذه الصلة بين شاعر وأمير طول زمن وغزارة تفاصيل وعمق إبداع وخروجاً عن المألوف، وكان المتنبي حريصاً على تحقيق حلم وجد في سيف الدولة، ولكن للأسف فقد تحول هذا الطموح إلى إحباط، فخرج من حلب غضبان آسفاً، ولم ييأس عن طموحه المعتاد فقد ظلت ثورته تغتلي معه حيثما ذهب وأينما ارتحل، أما الشاعر الحامد فقد كان - كما يبدو- مُصرّاً على عصاميته مهما كانت الصعاب والعراقيل، وهو في ذلك مستفيد من عصامية المتنبي وأنفته، وثورته المعتادة، وقد استثمر الحامد مضمون البيت الثاني(أعيذها نظرات..) الذي يعبق بالحكمة ليضفي على قصيدته رؤية معاصرة، فالحامد من دون شك يحذر أبناء قومه من فتن الأعداء، وزيفهم، وحقدهم الدفين.

وقد تكررت العبارة نفسها في مطلع لقصيدة حب للشاعر سعيد علي نور بل إنه لم يكتفِ بالتكرار، فقد عارض بها قصيدة المتنبي مخالفاً إياه في المقصديّة في قوله:

واحر قلباه منها حين تبتسم ومن بجسمي وحالي عندها سقمُ

صدَّت فؤادي عناداً غير آبهةٍ من مغرمٍ هزّهُ التفكيرُ والألمُ

ويعدّ الشاعر عبد الله العزب واحداً من الشعراء الذين تأثروا وأعجبوا بشاعر العربية العظيم أبي الطيب المتنبي، فقصائده كانت من قبيل المعارضة، فقد عارض قصيدة المتنبي التي يقول فيها:

مَنِ الجآذرُ في زِيّ الأعاريبِ حُمْرُ الحُلَى والمطايا والجلابيبِ

ما أوْجُهُ الحَضَرِ المُسْتحسَنَاتُ بهِ كأوجُهِ البَدَوِيَّاتِ الرَّعابيبِ

حسنُ الحضارةِ مجلوبٌ بتطريةٍ وفي البداوة حسن غير مجلوبِ

أينَ المعيزُ من الآرام ناظرةً وغيرَ ناظرةٍ في الحُسنِ والطِّيبِ

أفدي ظباءَ فلاةٍ ما عرفنَ بها مَضْغ الكلامِ ولا صبغ الحواجيبِ[1]

---

(١) شرح ديوان المتنبي،١٥٩/١- ١٦٩. والجآذر: جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية. والأعاريب: جمع عرب. والرعابيب: جمع رعبوبة، وهي المرأة الممتلئة البيضاء. والحضارة: يقصد بها الإقامة

فهذه القصيدة غزلية وغزل المتنبي على قلته يتسم بالعفاف والطهارة، وهو انعكاس واضح لطباعه وعفافه وترفعه وفخره، وقد كان المتنبي ضمن كل قصيدة مقطعاً أو بيتاً يعطيه من البروز ما يكفيه، ويجعله شبيهاً بالصرخة أحياناً، فيصب عصارة أمله أو رأيه المرتبط دوماً بعروبته. وعلى هذا أنشد العزب مفتخراً بملوك قحطان، وبنسبه وحسبه اليماني قائلاً :

كانوا البهاليل أبناء الأناجيب   حمر المواضي وقادات المقانيبِ

جحاجح الفتح من صنعا إلى عدنٍ   إلى ذرى الصين بعد الهند والنوبِ[1]

وفخره هذا يأتي من اعتزازه بأجداده الذين شيدوا من الحضارات ما شيدوا، وحققوا من الانتصارات لهذه الأمة ما يجعلها خالدة إلى أبد الدهر، وجديرٌ جداً بالأحفاد أن يحافظوا على هذا الإرث حتى يبلغوا غاياتهم، ويبدو أن هذه الأبيات قد اقتصرت على الغزل، ولكن تعصب المتنبي للعرب جعله يقول إن في قومه الجمال والشجاعة فإذا كان الرجال ينهبون أموال الأعداء فإن نساء العرب ينهبن القلوب، والبدويات منهن أحسن من نساء الحضر. وفي هذا دلالات أخرى على التعالي العربي، فضلاً عن ذوق المتنبي الذي يميل إلى الجمال البدوي الطبيعي البعيد عن التكلف والبهرجة والزينة المصطنعة. فهذا الشاعر زيد الموشكي يصور معاناة شعبه، ومدى الظلم الذي يتعمده الإمام وولي عهده بهذا الشعب العربي في اليمن، فكرامة الشاعر وحياته الكريمة قادته إلى تضمين الشطر الأخير من بيت المتنبي، وفيه ما يدل أن المهين حياته موت ووجوده عدم، في حين يكون أخيار الأمة

في الحضر. والبداوة الإقامة في البدو.. والمتنبي يريد أن نساء العرب البدويات أحسن من نساء الحضر؛ لأن حسن الحضريات مجلوب بالاحتيال وحسن البدويات طبع طبعن عليه. والمعيز: اسم للمعزى والآرام الظباء.وهو بهذا المعنى جعل نساء العرب كالظباء ونساء الحضر كالمعزى. يريد يقول: أين المعزى من الظباء. فالظباء أحسن عيوناً وأعضاء.

(١) رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه عبد الله البردوني، ص ٥٦- ٥٧.، والمقانيب: جمع مقنب وهو زهاء الثلاثمائة من الخيل.

وأفاضلها عرضةً للقتل والسجن والغربة بنوعيها الخارجية والداخلية، وغيرها من أساليب العذاب، إذ يقول الموشكي:

الله أكبر زاد الظلم في اليمن ... من الإمام ووالي العهد والحسنِ

جعلتموا كلَّ أصحاب التقى غرضاً ... (أفاضل الناس أغراض لذا الزمنِ)[1]

فالقصيدة تبدو وكأنها معارضة لإحدى كافوريات المتنبي، ولعل مطلعها يدل دلالة واضحة على عمق معاناته فيقول:

بِمَ التعلل لا أهلٌ ولا وَطنُ ... ولا نديمٌ ولا كاسٌ ولا سكنُ

أريد من زمني ذا أن يُبلغني ... ما ليس يبلُغُهُ في نفسهِ الزمنُ

كم قد قتلتُ وكم قد مت عندكم ... ثم انتفضتُ فزال القبرُ والكفنُ

ما كل ما يتمنى المرء يدركه ... تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

عند الهمام أبي المسك الذي غرقت ... في جودهِ مُضَرُ الحمراء و اليمنُ[2]

والشطر الأخير من البيت الثاني متضمن صدر بيت في قصيدة أخرى للمتنبي، ومطلعها:

أفاضل الناس أغراض لذا الزمنِ ... يخلو من الهمِّ أخلاهم من الفطنِ[3]

غير أن هذه القصيدة كان لها صداها في شعر الشامي وعلى وجه التحديد في قصيدته (بم التعلل؟)، وإن اختلفت عنها في حرف الروي فهي تقودنا تواً إلى مضمون قصيدة المتنبي ومعانيها، إذ يقول الشامي:

بم التعلل؟ أحبابٌ قد انصرموا ... وإخوةٌ من رحيق الموت قد شربوا

ماذا..؟ سوى ذكرياتٍ حين أنثرها ... يطغى الأسى ويفيض الحزنُ والكربُ

بمَ التعلل: آمالٌ مضيَّعةٌ ... وليس ينفعُ لا لهوٌ ولا طربُ[4]

---

(١) رحلة في الشعر اليمني قديمة وحديثة، ص ٥٨.

(٢) شرح ديوان المتنبي ٤/٢٣٣- ٢٣٨.

(٣) م. ن ٤ / ٢٠٩.

(٤) الأعمال الكاملة ٢/٨٣٢ .

وعلى غرار ميمية المتنبي التي مدح بها سيف الدولة الحمداني،والتي يبدو فيها أن المتنبي خاض حرب النجوم في عالم البيان، ورفض الاستسلام لخصومه، وأوصى محبيه أن لا يرضوا بغير النجومية وأكد ذلك بقوله:

إذا غـامرت في شـرفٍ مـرومٍ فـلا تقنـع بمـا دون النجـوم

صاغ الشاعر إسماعيل الكبسي قصيدته (تحية العام) والتي مدح بها زعيم اليمن ورئيسها علي عبد الله صالح، وقد ضمن الشاعر عجز هذا البيت في قوله:

فـزد يـا فـارس العـرب ارتفاعـاً ولا تقنـع بمـا دون النجـومِ[1]

ففي هذا المعنى ما يؤكد الطموح الكبير لكلا الشاعرين،فإذا طلبت أمراً شريفاً فلا تقنع بما دون أعلاه ولا ترضى بالدون.

وإذا ما أراد القارئ أن يستقصي القصائد التي تناولت هذه الشخصية الأدبية المهمة يطول به المقام ولا يتسع للحديث المفصل.

وقد وظف الشعراء في غرض الرثاء معاني وأفكاراً من نتاج المتنبي،فالزبيري في قصيدته(القاضي العلامة يحيى بن محمد الأرياني) كانت من قصائد الرثاء المهمة، وكان قد رثى بها زميلة الشاعر الأرياني،وقد عبر فيها عن مكانة الفقيد ومنزلته، إذ قال في فيها:

شمـسٌ طواهـا بليـلِ القـبر مقـدورُ فـالنور مفتقـرٌ والـصبح مقبـورُ[2]

وهي من المراثي المهمة في شعر الزبيري، وكان قد عارض بها قصيدة المتنبي في رثاء محمد بن إسحاق التنوخي التي يقول مطلعها:

إنّـي لأعلـمُ واللبيـبُ خبيـرُ أنّ الحيـاةَ وإن حرِصـت غـرورُ[3]

وقد كانت للزبيري قصائد تعدُّ أكثر معارضة لقصائد المتنبي، إذ أفاد من هذا الإرث الأدبي،وأولاه اهتماماً كبيراً، أسهم في تعميق تجربته الشعرية، وزاد في إغناء شعره بالصور الشعرية الرائعة. فمن منا لا يعرف بيتي المتنبي القائل فيهما:

---

(١) القائد في وجدان الشعب، ٣٤ .

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة (صلاة في الجحيم)، ص ٢٤٣ .

(٣) شرح ديوان المتنبي ١ /١٢٨

رمانـــي الـــدهر بـــالأرزاءِ حتـــى　　　فـــؤادي في غـــشاءٍ مـــن نِبـــالِ
فـــصرت إذا أصـــابتني سِـــهامٌ　　　تكـــسَّرت النِّـــصالُ علـــى النـــصالِ[1]

فقـد أخـذ الـزبيري هـذه الفكـرة وضـمنها بيتـه الآتـي مـن قـصيدته (أقـدار النكبة):

فقـد ظلمـت الخطـوب جريـاً ورائـي　　　حطَّمـــت النِّـــبالَ فـــوق النـــبالِ[2]

ولا يستطيع أحد أن ينكر نضال الشاعر أحمد محمد الشامي، فكثيراً ما دفع ثمـن نـضاله، وقـد ذاق الأمـرين مـن الغربـة والـسجن، ولاشـك في أن المتنبي كـان كـذلك، ولعل داليته التي قالها قبل مغادرته مصر بيوم واحد سنة (٣٥٠ هـ) ليلة العيد خير ما يظهر لنا ذلك الأثر، فقد قال في أبياتٍ منها:

عيـــدٌ بأيّـــةِ حـــالٍ عُـــدتَ يـــا عيـــدُ　　　بمـــا مـــضى أم لأمـــرٍ فيـــك تجديـــدُ
لم يـترك الـدهر مـن قلـبي ولا كـبدي　　　شـــيئاً تَتيّمـــهُ عيـــنٌ ولا جيـــدُ
يـــا ســـاقييَّ أخمـــرٌ في كئوســـكما　　　أم فـــي كئوســـكما هـــمٌّ وتـــسهيدُ
أصـــخرة أنامـــا لـــي لا تغيرنـــي　　　هـــذي المـــدام ولا هـــذي الأغاريـــدُ!

ويقول:

مـاذا لقيـتُ، مـن الـدنيا وأعجبُـها　　　أنـي بمـا أنـا بـاكٍ منـه محـسـودُ

وهذه القصيدة تجعلنا نلمس أثرها في قصيدة الشامي، وكان قد قالها وهو في سجن نافع بحجة سنة ١٩٤٩م، وفي ليلة العيد عبر الشامي يصف حاله وجزعه وما يعانيـه مـن الـسجن بعـد أن كانـت أيامـه أعيـاداً وأفراحـاً ومـسرّات، إذ يقـول في قصيدته (ليلة عيد):

أشـعلت نـار الجـوى يـا ليلـة العيـد　　　فبِّـــت أزفـــرُ في هـــمٍّ وتـــسهيدِ
ذكـرت سـالف أيـامي الـتي قنـصت　　　شـــباب روحـــي في حـــبٍّ وتغريـــد

---

(١) م . ن ٩/٣.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة (نقطة في الظلام)، ص ٤٢٦.

ذكـرت ماضـي أيـامي الـتي أنـست ... نفـسي بهـا في ربـا الغيـد الأماليـد

ذكـرت عهـداً غمـسنا فيـه أنفـسنا ... في لجّـةٍ بـين الزهـر والخـودِ

ذكـرت مجـداً عظيمـاً كنـت غرتـه ... بيـن المـروءة والإقـدام والجـودِ

واليـوم لا نغمـة الأفـراح اسمعهـا ... ولا صـدى سـحرها يجـزي بتـصديد

تمـضي الـشهور وآمـالي معذبـةٌ ... تـسقي الخـيال، وتغـذي بالمواعيـد

يـا عيـد لـولا بقـايا مهـجة ذبلـت ... وذكريـات وداد غـير مجحـودِ

لقلـت لا كنـت مـن يـوم ولا رجعـت ... بـكَ الـشهور ولا بوركـت مـن عيـدِ[1]

وإذا أنعمنا النظر في حالتي الشاعرين (المتنبي والشامي) نجدهما متشابهتين من ناحيتي المكان والتجربة الشعورية، وما يتعلق بهما، ومن هنا كانت معاني الشامي تقابل معاني المتنبي، ويمكن الجمع بين قصيدة المتنبي ومعاني الشامي الذي جعل من قصيدة المتنبي بؤرة لفكرته، ويبدو أثرها في الشكل والبناء، وهذا الأمر يحسب للشامي، لأنه استوحى التجارب الفنية من الأدب العربي بعيداً عن التقليد والإتباع الذي اعتدنا ملاحظته في قصائد المعارضات الحديثة، ويمكن ملاحظة ظهور شخصية الشامي الفنية منفردة واضحة وناضجة رغم استيحائه لتجارب الموروث الأدبي لشعراء عرب. ويبدو أن الاختلاف كان واضحاً بين الشاعرين في أمور أخرى منها أن المتنبي لم يأمل فرجاً، وكان يشكو في غربته ما تعانيه أمته من ضيق العيش من الأعاجم، ولم يتلون شعره بألوان قاتمة من اليأس والبؤس،

---

(١) ديوان من اليمن، ٤٩. وقد عارض شعراء اليمن دالية المتنبي في قصائد كثيرة،وضمنوا أبياتاً منها، وجوروا بعض معانيها، ووظفوا مضامينها، ومن هؤلاء: صالح بن علي الحامد في قصائده: (العيد)، (تحية العيد)، (عيد لا عيد)، (في عيد الأضحى)، ينظر: الأعمال الشعرية الكاملة،٤٣ ،٤٥،١١٩،٣٢٢. والشاعر علي بن علي صبرة في قصيدته (العيد والسجن، ينظر: الأعمال الشعرية الكاملة، ص والشاعر محمد سعيد جرادة في قصائده: (العيد والكوثر)، (من وحي العيد)، (ليلة العيد)، ينظر: الأعمال الشعرية الكاملة، ٢٩٩،٣٤٩،٣٦٤، والشاعر محمد عبدة غانم في قصائده: قرحة العيدين)، (الأياد الثلاثة)، (بطاقة غريب في العيد)، (أيام عيد)، ينظر: الأعمال الشعرية الكاملة، ٤٤٥،٤٥٤، ٥٠١، ٥٥٢.

كما أن المتنبي وفقَّ في تعبيره عن أحوال أمته وآلامها، وفي الوقت نفسه عبّر عن أحواله الخاصة؛ فأخرج ما في صدره من العواطف الإنسانية الجميلة معبرة عن همومه وآلامه ناشرة نفحاتها، ولم يستدر شفقة حاكم أو يستعطفه، بل ظلّ على العكس من ذلك فلم تفارقه الأنفة والشموخ حتى مقتله، أما الشامي فكان من رموز قادة ثورتي ١٩٤٨ و١٩٥٥م، فقد أكثر من الاستعطاف ولم يصب بيأس أو إحباط وقد شفع له شعره وأطلق سراحه، وعاد سياسياً مبرزاً، وظل على هذه الحال حتى وفاته سنة ٢٠٠٧م.

والمتأمل في ديوان الشاعر الدكتور أحمد علي الهمداني يجد أثر المتنبي منتشراً في عدد من قصائده العمودية، والسبب في ذلك يعود إلى إعجابه بالمتنبي وشعره والسير على منواله في البناء الفني للقصيدة، وتبرز من ذلك أهمية هذا الأثر في العملية الإبداعية، وقد أكد ذلك في مقدمة ديوانه، إذ قال"ربما يلمس القارئ أن هذا الديوان الذي بين يديه ينبني على قراءات عميقة وواسعة في التراث الشعري العربي قديمه وحديثه . فقد قرأت منذ الثانوية وحتى ما قبلها لكثير من أمراء الشعر العربي . ولم أكف عن قراءاتهم في وقت من الأوقات. غير أن أبا الطيب المتنبي هو أكثر الشعراء الذين قرأتهم وحفظت لهم قصائد كاملة أو أبياتاً متفرقة، إذ يمتلك هذا الشاعر الكبير جداً تأثيراً قوياً على تجربتي الشعرية خاصة وعلى حياتي عامة في عدة اتجاهات" [(١)]. وفي هذا اعتراف ضمني صريحٍ من الشاعر. وقد أكد ذلك الباحث محمد مسعد العودي بقوله"ونحن في سيرورة قراءتنا للنص الهمداني بحضوره الدائم في كل أرجاء ديوان الهمداني بلا انقطاع، ويحاول النص الهمداني أن يخفي ذلك الإشعاع المستديم الذي لا يخفى، فيعجز تماماً عن إخفائه، ولكنه يمنحه أبعاداً جديدة"[(٢)]، وعلى الرغم من أن الباحث لم يكتب عن أثر

---

(١) ديوان الهمداني، ص١٢.

(٢) التناص في ديوان الهمداني (بحث) محمد مسعد العودي، مجلة التواصل ا،العدد الثامن عشر، يوليو ٢٠٠٧م ، ص١٧١ .

عن أثر المتنبي سوى صفحتين اثنتين في بحثه (التناص في شعر الهمداني) إلا أن ما قاله يؤكد أن الباحث قد قرأ ديوان الهمداني قراءة مستفيضة.

وقد عمد الهمداني في قصيدته (المجد مجدك)، إلى معارضة ثلاث قصائد للمتنبي، الأولى كان قد مدح بها سيف الدولة الحمداني وفيها يقول:

المجدُ عُوفى إذ عوفيتَ والكرمُ ... وزالَ عنكَ إلى أعدائكَ الألمُ

صحَّتْ بِصِحتِّكَ الغاراتُ وابتهجتْ ... بها المكارمُ وانهالت بها الدِّيمُ

وراجعَ الشمسَ نورٌ كان فارَقَها ... كأنما فقدهُ في جسمِها سَقَمُ

ولاح برقُكَ لي من عارضي ملكٍ ... ما يسقطُ الغيثُ إلا حيثُ يبتَسِمُ

يُسمى الحُسامَ وليست من مشابهةٍ ... وكيفَ يشتبهُ المخدومُ والخدمُ

تفرَّدُ العرْبُ في الدنيا بمحتدهِ ... وشارك العرْبَ في إحسانه العجمُ

وأخلص اللهُ للإسلام نُصرَتَه ... وإن تقلَّبَ في آلائه الأممُ

وما أخُصّكَ في بُرْءٍ بتهْنئةٍ ... إذا سلمْتَ فكُلُّ الناسِ قد سَلِموا[1]

والقصيدة الثانية (واحر قلباه):

واحرَّ قلباهُ ممن قلبه شبمُ ... ومن بجسمي وحالي عنده سقمُ

إنْ كان يجمعنا حبّاً لغرته ... فليت أنا بذاك الحب نقتسمُ

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا ... بأنني خير من تسعى به قدم

إن كان سرّكم ما قال حاسدنا ... فما لجرحٍ إذا أرضاكم ألمُ

ما أبعد العيب والنقصان عن شرفي ... أنا الثريا وذانِ الشيبُ والهرمُ

يا أعدل الناس إلا في معاملتي ... فيك الخصامُ وأنت الخصم والحكمُ

أعيذُها نظراتٍ منكَ صادقةً ... أن تحسبَ الشحم فيمن شحمه ورمُ

وما انتفاعُ أخي الدنيا بناظرهِ ... إذا استوت عنده الأنوارُ والظُلَم[2]

---

(١) شرح ديوان المتنبي ٣/٣٧٥. ٣٧٦ .

(٢) شرح ديوان المتنبي، ٣/ ٣٦٢ ـ ٣٧٢

والثالثة مطلعها:

عُقبَى اليمين على عُقبى الوغى ندمُ   ماذا يزيدك في إقدامكَ القسم[1]

ولا شك في أن هذه القصائد كانت معيناً ثرّاً للهمداني، غير أن الأولى، كانت على قصرها أقرب إليه في كثير من المعاني والدلالات والغرض، فالمتنبي مدح سيف الدولة والمعنى: يقول المجد عوفي بعافيتك والكرم صح بصحتك، وزال الألم إلى أعدائك الذين تأخر عنهم، وأغمد دونهم سيفك فالحرب والجهاد لا تتم إلا بصحتك.

ومن المعروف أن سيف الدولة الحمداني كان يذود عن العروبة ويحميها من الأعداء الأعاجم الذين هم في الأساس مأساة المتنبي،لقد كان المتنبي يعتز بعروبته في وقت سادت فيه الفرس والترك وبرزت النزعة الشعوبية تسخر من العرب وتثيرها عاصفة في وجه مثلهم وأمجادهم، وقد كان هذا امتحاناً لعروبة المفكرين من أمثاله، ويمكن اعتبار المتنبي من أصدق الأصوات معرفه بالتراث العربي والحضارة العربية، ومن أصدقها أيضاً معرفه بمكامن ضعف هذه الأمة في عصره، ومسببات انقسامها وأدوات علاجها .ولقد تجلت قومية المتنبي في مظاهر وممارسات عديدة، يضاف إليها تطلعات ورؤى الشاعر حين تحدث عن الإنسان العربي، وعن الحكم العربي ومساويه .

ولا غرو أن الشاعر يحتفظ بالبرهان العميق الذي يؤكد صدق عروبته، بل إن هذا الصدق أدَّى دوراً حاسماً في حياته كلها[2]، وقد أكد لنا ذلك خير من شرح ديوانه ولازمه، وحاوره وصحبه إنه العالم النحوي ابن جني،فقد قال "ما عرفت المتنبي إلا صادقاً"[3]، فهذه الصفات التي تجسدت في المتنبي و ممدوحه هي التي جعلت الشاعر الهمداني يتكئ عليها في قصيدته (لمجد مجدك)، ودعنا نقتطع أبياتاً منها:

المجد مجدك أنت السيفُ والقلمُ   والنصرُ نصركَ أنت الخيرُ والكرم

---

(١) م . ن ١٥/٤.

(٢) ينظر: مع المتنبي في شعره الحربي، د ٠ هادي نهر،٢١٢.

(٣) الخصائص١/ ٢٤٨.

قالوا مدحت وكم في المدح من عجبٍ ... ترجو به الخير والإحسان تغتنمُ
أطوى الزمان، على أحزانه وجعاً ... أصارع الدهر وهو الخصم والحكمُ
فتشت فيه طويلاً لا أرى أملاً ... حتى وجدتك في الآمال تنتظمُ
علي أنت أماني الناس في بلدي ... يشدو بك المجدُ والتاريخُ يبتسمُ
أرسيت وحدتنا في مجد دولتنا ... دانت لها العرب في الآفاق والعجمُ
حققت وحدتنا في السلم أغنية ... هامت بها أبداً في شدوها الأممُ
كم صنتها في حنايا الروح أمنية ... دافعت عنها فزالَ الشحمُ والورمُ
يا صانع الفجر والتاريخ في بلدٍ ... قد سرت فيه بحبل الله تعتصمُ
كم صغتَ للحقِّ والإسلام ملحمةً ... من البطولة، فيها الظلم منهدمُ
عفوت عفو كريم في تطلعه ... عن المسيئين لم تحفل بما أثموا
قد كان عفوك عفو القادرين وقد ... أعليت بالسيف نصراً كله قيمُ
نحن دخلنا بك التاريخ عن ثقةٍ ... تعانق المجد في أسفاره الهممُ
وجدتنا صفحةً بيضاء تكتبُها ... على الدهور قصائد كلها حكمُ
لما رأيتكَ في دربِ العلا وهجاً ... تحمي الدموعَ وأنت الصارم الخذمُ
حملت للحزن سيفاً أنتَ صانعهُ ... تجدد البرُ فينا وانمحى السقمُ
أصوغ من وحي شعري فيك ملحمة ... تبقى على الدهر لا يغتالها السأم
كم ردَّدَ القلبُ ألحانَ المنى ثملا ... وكم شدا بجميل الشعر فيك فمُ [1]

فالتداخل النصي كما يبدو كان واضحاً بين قصيدة المتنبي، وقصيدة الهمداني، ومثل هذا التداخل لا يحتاج إلى إثبات،وكان الهمداني أكثر حرصاً على الانتفاع بقصيدة المتبي، فقد عمد إلى تحوير بعض أبيات القصيدة،وكذلك عمد إلى تكرار كثير من الملفوظات، فضلاً عن التقارب في الأسلوب والبنية ومقتضيات حالته النفسية المحبطة من الحكام، ولعل استخدامه للنص التراثي ليدين من خلاله سياسة الحكام العرب، وعلى وجه الخصوص للذين مدوا أيديهم إلى العدو ووقفوا

(١) ديوان الهمداني، ١٥٥ — ١٥٨ .

في صفه، أما من حيث المقصدية، فقد سارت الفكرة في اتجاه واحدٍ، فقصيدة الهمداني في معظم أبياتها مدحٌ في قائد بلاده (اليمن) علي عبد الله صالح مؤسس دولة اليمن الكبرى في العصر الحديث،وكان قد أهداها إليه، وقد أكد ذلك في تقديمه لهذه القصيدة "الإهداء إلى الرئيس الرمز علي عبد الله صالح حفظه الله"، وهذا الاتجاه يتوافق مع قصيدة المتنبي الأولى توافقاً تامّاً. في حين كانت قصيدة المتنبي الثانية عتاباً لرفيقه في الجهاد سيف الدولة الحمداني، وقد أنشدها في مجلسه المزدحم بالشعراء والمختصين والمستشارين، وكان معظمهم خصوم المتنبي، ولكنه كان كما عهدناه شجاعاً لا يعرف الضعف والوهن، بل زج نفسه في هذا الأتون الملتهب وأخذ يجوب البلاد ويبلور أخلاق الناس، وقد كان الشعر وسيلته في المدح، فإذا مدح أشاد بنفسه وقوته وأدبه، فضلاً عن مطامحه ولم يشغل نفسه بالتوافه كغيره من الشعراء الذين يكتفون بالتافه اليسير من أغراض الدنيا، فهو لا يبالي بالماديات أبداً، وقد أكَّد مراراً أن له قلباً ليس له غاية ينتهي إليها في مطلوبٍ جعل له حدًّاً فيقول :

وفي الناسِ مَن يرضى بميسور عيشه وَمَركُوبُـهُ رجلاه والثوبُ جلدهُ

ولكنَّ قلبي بين جنبيَّ مالهُ مدىً ينتهي بي في مُرادٍ أحُدُّهُ [1]

فهذه هي شخصية المتنبي لا تعرف الذلَّ أبداً، بل إن لشخصيته طموحات ورغبات لا حد لها ولا أمد، وعودٌ إلى ميميته المشحونة بهذه الأوصاف التي ذكرناها، فقد كان شعره فيها قوي النفس عزيزها يعلن ثورته؛ ولكن بنمطٍ جديدٍ مرةً في عتابه لسيف الدولة الذي استسلم للوشاة،وأخرى في مهاجمة خصومه وحساده، فقد شن عليهم هجوماً عنيفاً من دون أن يفوته الفخر بنفسه، وكانت هذه القصيدة آخر ما قاله في هذا المجلس، إذ غادر على إثرها حلب بعد إن فرغ من عتابه لرفيق جهاده وهذا يدل على انصهار روحه بمعاناته وذوبان حشاشته بقضايا أمتهِ.

---

(١) شرح ديوان المتنبي ٣/٢.

وعلى أثر هذا عزم المتنبي على الرحيل عن حلب حزينا ، وودعته حلب حزينة هي الأخرى، وغادرها إلى غير رجعة وبفراقه غاب عنها ، وعن أميرها شعرٌ عذبٌ ورائعٌ ما أحوجه إليه ، وقد صدق في قوله:

لئن تركنا ضميراً عن ميامننا ... لَيَحْدُثَنَّ لِمَن ودعتُهُمْ نَدَمُ

إذا ترحَّلتَ عن قومٍ وقد قدروا ... أن لا تفارقهم فالراحلون هم

شر البلاد بلادٌ لا صديقَ بها ... وشرُّ ما يكسِبُ الإنسانُ ما يَصِمُ

وشُّر ما قَنَصَتْهُ راحتي قنصٌ ... شُهبُ البزاةِ سَواءٌ فيه والرَّخمُ

بأي لفظٍ تقول الشعرَ زِعْنِفةٌ ... تَجُوزُ عندكَ لا عربٌ ولا عَجَمُ

هذا عتابُك إلاَّ أنَّهُ مِقَةٌ ... قد ضُمِّنَ الدُّرَّ إلاَّ أنهُ كَلِمُ (١)

ولهذه القصيدة صرختها المميزة ويبدو أن مضمونها ودلالاتها ومعانيها كان لها عظيم الأثر في قصيدته الثالثة ، فإذا كان تداخل النصوص قد بدا واضحاً في شعر المتنبي نفسه فإن الهمداني قد أفاد من هذه النصوص ما يثري تجربته المعاصرة ، والتي يهدف منها لمعالجة الواقع المعيش.

ونستنتج من هذه الموازنة بين قصيدة الهمداني وقصائد المتنبي أن هذه النصوص قد تلاءمت وتجانست في موسيقاها الخارجية (البحر والقافية والروي) وتنسجم في الموسيقى الداخلية فكلها من بحر ثماني التفعيلة ،فضلاً عن الجمل التي تبدأ بها هذه القصائد فأنها تتناسب مع البحر البسيط وتتناسق معه.

ويبدو أن معاناة المتنبي كان لها الأثر الأكبر في توفيقه في قصيدته الثالثة ،فقد وفق فيها بوعي وإدراك مقصودين، وهاهو المرحوم عبد الوهاب عزام يعدُّ واحداً من الذين أنصفوا الشاعر العظيم، وشرح ديوانه، وكتب عنه كتاباً مهما عنوانه "ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام" ، وكان قد نقل عن "شرح المعري، قال ابن جني قلت لأبي الطيب وقت قراءتي هذه القصيدة عليه: أعُقبَى اليمين على عُقبى الوغى

---

(١) شرح ديوان المتنبي ٣٧٢/٣ ـ ٣٧٤. ويصم: يعيب، والوصم: العيب، وصوم، والوصم: الصدع. وزعنفة بكسر الزاي، وجمعه: زعانف، وهم اللئام السفاط من الناس.

ندمُ][1] أنه ليس في جميع شعرك أعلى كلاماً من هذه القصيدة، فاعترف بذلك وقال: كانت وداعاً" [2] بالفعل كانت القصيدة وداعاً، فلم ينشده شيئاً، بعدها في حلب بدليل قوله:

لا تطلبنَّ كريماً بعد رؤيته ... إن الكرام بأسخاهم يداً ختموا

ولا تبال بشعرٍ بعد شاعره ... قد أفسد القول حتى أحمد الصممُ[3]

ومع هذا فإن المتنبي لم ينسَ عشرة رفيق جهاده سيف الدولة الحمداني ومودته له طيلة تسع سنوات بدليل قوله:

فراقٌ ومَن فارقتُ غيرُ مُذمَّم ... وَأَمٌّ ومَنْ يممتُ خيرُ مُيَمَّم

سجيَةُ نفسٍ ما تزالُ مليحةٌ ... من الضيم مرميًّاً بها كلُّ مخرمِ

رحلتُ فكم باكٍ بأجفانِ شادنٍ ... عليَّ وكم باكٍ بأجفانِ ضيغَمِ

وما ربة القرط المليحِ مكانهُ ... بأجْزَعَ منْ رَبِّ الحُسَامِ المُصَمِّمِ

فلو أن مابي من حبيبٍ مقنِّع ... عذرْتُ ولكن من حبيبٍ مُعمَّمِ

رمى واتقى رميي ومن دون ما اتقى ... هوًى كاسرٌ كفي وقوسي وأسهمي

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونهُ ... وَصَدَّقَ ما يُعْتَادُهُ مِنْ تَوهّمِ[4]

ومثله ما قاله في مصر مخاطباً قلبه الذي كان أكثر تمسكاً بوفائه لسيف الدولة، إذ قال من الطويل:

حببتك قلبي قبل حبك من نأى ... وقد كان غدّاراً فكن لي وافيا[5]

والدليل الآخر تعزيته لسيف الدولة في وفاة أخته(خولة)، والتي بعثها إليه المتنبي من العراق وسماه فيها بـ(فتى الفتيان) قائلاً:

طوى الجزيرةَ حتى جاءني خبر ... فزعتُ فيهِ بآمالي إلى الكَذِبِ

---

(١) شرح ديوان المتنبي ٤/١٥. ٢٦.

(٢) ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، ص ٩٩.

(٣) شرح ديوان المتنبي، ٣/ ٣٦٢ ـ ٣٧٢.

(٤) م.ن ٤/ ١٣٤. ١٣٥.

(٥) شرح ديوان المتنبي ٤/٢٨٣.

حتى إذا لم يَدعْ لي صِدقُهُ أملاً ... شَرِقتُ بالدمع حتى كاد يشرق بي

أرى العراقَ طويلَ الليل مذُ نُعيت ... فكيفَ ليلُ فتى الفتيان في حلب

يظنُّ أن فؤادي غير ملتهب ... وأن دمع عيوني غير منسكب

بلى وَحُرمَةِ مَن كانت مُراعيةً ... لحُرمةِ المجدِ والقُصَّادِ والأدب

ومَنْ مضتْ غيرَ موروثٍ خلائقُها ... وإن مضت يدها مورثَةَ النَّشبِ[1]

وفي قصيدة الهمداني (التتار في بغداد) نلمح أثر المتنبي لا في الوزن والقافية وأسلوبه فحسب، بل في نخوته وعروبته، وقد عبر الهمداني عن مأساة الأمة بعد أن فرَّطتْ في جزءٍ مهمٍ من كيانها، وتركت الساحة لتتار العصر الذين كثفوا من قواتهم لتدمير عراق العروبة والإسلام وبمباركة بعض الحكام العرب وبتهاون الآخرين، فقال:

يا بنت هارون الرشيد سلامُ ... جارت على أبنائك الأيامُ

بغداد يا أمل العروبة في دمي ... يا مهبط الوحي الرفيع سلام

بغداد يا لحن الطفولة في فمي ... خفقت لك الرايات والأعلام

عافتك أيدي المقسمين على الردى ... لم يرتفع عند النزال حسام

وشكا إليك النازحون صدودهم ... والصد عنك على الوصال سقام

والقادرون على الغرائب أمة ... في عقلها تتحطم الأوهام

يا سيد الشهداء ماذا نرتجي ... من بعد موتك والحياة حمام

يا سيد الشهداء إنا أمة ... نبكي على الموتى ونحن نيام

يا سيد الشهداء أعذرني فقد ... طالت بنا الأيام والأعوام

يا بن النبي محمد أنت الهدى ... والبرّ والإحسان والإقدام

قد كان فعل الأمس فيك كفعلنا ... بغداد مثلك غالها الإحجام

اليوم نلطم أوجهاً من خيفة ... لم يبق إلا الذل والإرغام[2]

---

(١) م.ن /٨٧– ٨٩.

(٢) ديوان الهمداني، ١٧٧– ١٧٨.

ومن الملاحظ أن جسامة الأحداث قد دفعت الشاعر إلى تقوية الرنة الفنية واللفظية في القصيدة، ليضفي عليها من القوة والفخامة ما يدفع المتلقي إلى التواصل معها، وكأنه أمام موقف يتجلى فيه زمجرة الرجال وصليل السيوف وصهيل الخيل، وقد تحقق ذلك من خلال تكرار عدد من ملفوظات قصيدة المتنبي في هذه القصيدة المعاصرة، ربما لأنها رافقت الأحداث السياسية والمعارك القومية التي تستدعي التأنيب وتقرير الواقع والمبالغة والتعظيم، إذ يقول الهمداني:

الأجنبي يصول في طرقاتنا	**أين الأولى صنعوا الخلود وحاموا**
أين الأولى بعثوا الحضارة والعلا	**هارون والمأمون أو همام**
الرافضون العيش في أسر الأذى	**والعيش في أسر الأذى استسلام**
أين الأولى غرسوا الطهارة والنهى	**أين الأولى عبروا الدروب وهاموا**
أين الأولى فتحوا البلاد وعمّروا	**أين الحداة، رجالك الأعلام**
أين الرجال تذود عن أوطاننا	**فيها وأين الصارم الخذام**
هذا فراقك لم تعد أيامه	**تحصى وما أشفى القلوب مقام**
كيف الرحيل ونحن في فلواتنا	**نمضي وقد شد الجياد زمام**
كيف انطوت آمالنا في لحظة	**جل الأسى وتعذر الإفهام**
كيف احتوانا الخوف يوم الملتقى	**وتقطعت في فعلنا الأرحام**
كيف اقتضانا الغدر من أغمادنا	**ونبت سيوف الحق فهي كهام**
كيف اختفت أصواتنا، كيف انزوت	**أجيادنا وتحطم الصمصام**
كيف اعترانا الصمت في أفعالنا	**يوم الرهان تهاوت الأصنام**
بغداد ما صنع التتار بأهلنا	**في كل ناحية بكى الإسلام**
قد عاد هولاكو إليك وعصره	**الأوجاع والإرهاب والإعدام**
قد عاد يحمل ألف عام حقده	**فتعطلت في ظلّه الأحكامُ**
أمست بلاد العرب في رهج الوغى	**وتناثرت جثثٌ هناك وهامُ**
والموت يخترمُ النفوس وما درى	**أن الحياة مودّة وذمامُ**

بعنـــاك في ســـوق النخاســـة رغبـــة وخيـــانة الأخ الـــشقيـق حـــرامُ[1]

فهذه القصيدة تقودنا توّاً إلى قصيدة المتنبي الذي مدح بها علي بن أحمد المريّ الخراساني قال في أبيات منها:

لا افتخـــار إلا لمـــن لا يـــضـامُ مــــــُدْرَكٍ أو مُحـــاربٍ لا ينـــامُ

لـيس عزمّـاً مـا مـرّض المـرء فـيه لـيس همّـــاً مـا عـاق عنـه الظـــلامُ

واحتمــال الأذى ورؤيــة جانيــــــه غـــذاءٌ تـضـوى بـه الأجـســـامُ

ذَلَّ مـن يغبــط الذليـلَ بعيـــشٍ رُب عيـــشٍ لأخـــفُّ منــه الحمـــامُ

كـل حلـــمٍ أتـى بغيـــر اقتـدارٍ حجّـــــةٌ لاجـــئ إليهـــا اللئـــامُ

مــن يهــن يـسهــل الهـوان عليــه مـــا لجـــرحٍ بميـــتٍ إيـــلامُ

حَـسَـنٌ في عيـون أعدائـــه أقْـــــبحُ مــن ضيفـــه رأتــه الـســوّامُ

لـو حمـى سيـّداً مـن المـوت حـامٍ لحمـــاك الإجـــلال والإعظــــام

ونفـــوسٌ إذا انبـــرت لقتـــالٍ نفـــدت قبــل أن ينفـــدَ الإقـــدامُ

وقلـــوبٌ مُـوَطَّنـــاتٌ علـى الـرّو ع كـــأن اقتحامـــها استـــسلامُ[2]

وإذا أنعمنا النظر في أبيات القصيدتين وقوافيهما على وجه الخصوص نجد اتفاقهما في الملفوظات الآتية: الظلام- الحمام- إسلام- سقام- همام –النعام – الأوهام – الأقدام- أنعام – الأقلام- الأيام- آثام- الإلهام- أحكام- الإعظام - الأقوام- غمام- جهام..إلى ما هنالك من مفردات أخرى. وقد أصبحت اللفظة عند الشاعرين (المتنبي والهمداني) بؤرة تتقاطع عندها كثير من الأبيات وتتعالق فيها كثير من ألفاظ الأبيات ومعانيها المنبثقة من المستوى المعجمي، وكذلك الحال مع الأحداث الحربية وما تحتاجه من ألفاظ حماسية تتناغم مع كثير من المعارك والأحداث التي مر بها الشاعران كلٌّ وعصره، وبتأملنا النصين بإمكاننا إيجاد ألفاظ مشتركة من النصوص الحربية التي حفل بها النصان، ومن تلك الألفاظ:

---

(١) ديوان الهمداني، ص١٧٧- ١٧٨.

(٢) شرح ديوان المتنبي ٩٢/٤ – ١٠١ .

السيف الرمح، الحسام، الصمصام، الصارم، الجياد، الخيل، الفلوات، الدماء، الإقدام الهرب، الثبات، الجهاد، الروع، حام، وغيرها من الألفاظ إلى ما هنا لك من ألفاظ متعلقة بلوازم الحروب وأحداثها. والسؤال الذي يجب أن نطرحه هو هل الشاعر الهمداني ظل أسيراً لنص المتنبي؟ أم أنه قد اتكأ على جزئية من حياته ؟ أو أنه تعمد أن يلجأ إلى تراث المتنبي؟ أسئلة مهمة كثيرة و محيرة لكل من سلك هذا الطريق من الشعراء مع إدراكهم بالغايات التي وصل إليها شعر المتنبي من الناحيتين الموضوعية والفنية. وعودٌ إلى سؤالنا، والذي يقتضي البحث أن تتحدد الإجابة عليه في أن مواطن الالتقاء بين المتنبي والهمداني كثيرة يتصدرها حبه لهذا الشاعر وإعجابه بشعره ومواقفه، وعلى هذا الأساس سار الهمداني فلم يضره هذا التأثير في شيءٍ، ولم يعد عيباً بحقه غير أن ما يجب أن نوضحه أن الهمداني حافظ على أصالته وعمد إلى توظيف تراث المتنبي، ولعل عنوان القصيدة فقط يؤكد تقنية الهمداني وإبداعيته وقدرته على ذلك التوظيف، وهو يعاتب العربي المعاصر على استكانته وغفلته وشتاته وضياعه وتخاذله، وتراجعه، وقد تعددت الأساليب الاستفهامية والخبرية وتنوعت في شعر الهمداني محصنة بلغة مهذبة وبأسلوب يميل إلى السخرية من تواطؤ الحكام العرب وهدفه من ذلك إيجاد صحوة للعقل العربي واستيقاظ الضمير وشحذ الهمم بعد أن رأى أمته في عصرها هذا في حالة يرثى لها، وفي وضعٍ لا يحسد عليه، وعلى هذا جاءت قصيدته لتعبر عن مأساة بغداد التي وقفت بكل ما تملك من قوة في مواجهة التتار القديم والمعاصر وهذا معهودٌ لها، إذ يقول:

بغداد أنت على المدى أسطورة	**لم يحو مثلك في الزمان كلامُ**
مازلت شامخة على أحوالنا	**لم ينتقض للمجد فيك دعامُ**
جاءتك أزمان البراءة كلّها	**ورنت إلى أزمانك الأقوامُ**
بغداد مقبرة الغزاة وأهلها	**صحو على أهل الهوى وغمامُ**
بغداد عابرة القرون وأهلها	**حممٌ على الأعداء، فهي رجامُ[1]**

(١) ديوان الهمداني، ص ١٨٠- ١٨٢.

ولاشك في أن الشاعر الهمداني قد استذكر رموزاً عربية وإسلامية فاعلة حملت الدين الإسلامي على هامها إلى أمصارٍ كثيرة منها: الحسن وهارون الرشيد وفي الوقت نفسه ذكر رموزاً عدوانية أرادت النيل من أمتنا أمثال هولاكو وابن العلقمي ولعل ذكره لهؤلاء ليطالب بتكوين موقف نضالي في الاتجاهات كافة. وعلى هذا التأثر سارت تقنية الهمداني في أن يوظف النص الواحد لأداء مجموعة من الوظائف الإيحائية المختلفة على وفق مقتضيات السياق الشعوري والنفسي الذي وظف قصائد المتنبي في إطاره.

ولعل تأثر الهمداني بالمتنبي ليجسد البعد القومي الذي ارتآه شعراء اليمن في مراحل مهمة من مراحل النضال، وقد برز هذا البعد في كثير من قصائدهم إيماناً منهم بوحدة الأمة من جهة وشعوراً بضرورة تحققها في مجابهة العدوان من جهة أخرى، ويلتحم البعد القومي بصورة أجمل في قصيدة (التتار في بغداد) للشاعر الهمداني.

ولعل من أسباب سلوك نصوص شعراء اليمن لطريق معارضة نصوص للمتنبي هو الإعجاب بتلك النصوص لما تملكه من إيحاء وأسلوب أو شهرة انجذب إليها ذوقهم ودفعهم يحاكونها ويدورون في فلكها، فضلاً عن شخصية المتنبي الذي شغل الناس وملأ الدنيا، وعلى هذا كان نوعية العلاقة التي تقوم عليها النصوص المتعارضة حيناً والمتداخلة أحياناً أخرى هي علاقة التبجيل والاحترام والتضافر والتعضيد ودرجة التقارب فيما بينها تكون كبيرة والتركيب متشابه، والمقصدية تتجلى في المواقف، ولعل موقف المتنبي مشهودٌ له فهو القائل والثائر والفارس والمجاهد وما خاب أبداً من عارضه أو حاكاه، لأن من اقتفاه سيجسِّد من دون شكٍّ مواقفه. ويضفي عليها رؤية معاصرة لمعالجة الواقع المعاصر.

وإذا أنعمنا النظر في القوافي التي اختارها شعراء اليمن، وركزنا على حرف الروي منها، فإنها في أغلبها الأعم تتفق وطبيعة الحروف التي استخدمها المتنبي، فقد كشفت الممارسة الإحصائية على نتاج شعراء اليمن في قصائدهم البيتية المقفاة أن نسبة الحروف التي استحسنها المتنبي، والتي أطلق عليها العروضيون تسمية (القوافي الذلل) كالباء والراء والميم والدال والنون والهاء والهمزة كانت عالية في

حين انخفضت نسبة (الحوش) كالذال والثاء والقاف والظاء وانعدم استعمال أغلب ما أطلق عليه تسمية (النفر) كالطاء والزاي والصاد. وقد ظلت القوافي بأنواعها التي حددها القدماء، وسلكها المتنبي تأخذ نصيبها في القصيدة اليمنية بشكليها العمودي والجديد في عصرها الحديث.

الفصل الثالث

الغربــة

الفصل الثالث
الغربــة

من المعروف أن الشاعر اليمني الحديث قد تفاعل مع المتنبي تفاعلاً تاماً وصور في الوقت نفسه حال الغربة والبعاد التي لازمت شطراً كبيراً من حياة المتنبي، فالغربة من وجهة نظر أي شاعر كان حالة إنسانية،وهي كذلك مناجاة لشاعر صاحب موقف أو مواقف وقد يكون موقفه مليئاً بالحزن، وفي معاناة الغربة لم يغب المتنبي عن شعراء اليمن،فقد اتخذ الزبيري الطائرَ معادلاً رمزياً في قصيدته" حنين الطائر، إذ يقول :

مـــا علـــى الأقـــدار إن عـــدت لأهلـــــي مـــــن جنــــــاحِ

آه مــــاذا تــــصنع الآهـــات في البـــــيض الـــــشحاحِ

تَعِـــــــسَ الــــــدمعُ، إذا لم يـــــستطع حــــل ســــراحي

البكــا أعجـــزُ مـــا اســـتخد مـــت في كـــسب النجـــاحِ [1]

فالزبيري يشير في هذه الأبيات أن دمعَهُ أعجز ما استخدمه "في كسب النجاح لبلادهِ، وكانت قصائده الباكية المغرقة في الرومانسية – وهي رومانسية ثورية كانت صوته الثاني، الصوت الحزين في دعوته للثورة والتغيير " [2]. وعلى الرغم من أن الزبيري قد استخدم مع أعدائه القوة بكل مقوماتها ودلالاتها وهذا أمرٌ لا يحتاج إلى جدال ولا نقاش ولا مراء، وقد عبر عن هذا المعنى المتنبي الذي رأى أن البكاء هو أضعف السلاح عند المدافعة وأظهره تقصيراً عند المطالبة فهو لا ينفع والدمع لا يغني ولا يدفع شيئاً، ولا يحرك ساكناً في المعارك، بل يجلب الهوان والضعف، إذ يقول المتنبي:

---

(١) الأعمال الشعرية (ثورة الشعر)، ص٢٢٥.

(٢) الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن ، ١٩٧ .

بــأبي الوحيــدُ وجيــشهُ متكــاثرٌ　　　يبكــي ومــن شــر الــسلاح الأدمــعُ

وإذا حـصلت مـن الـسلاح علـى البكـا　　　فحـشاك رُعـت بـه وخـدك تقــرعُ[1]

ويبدو أن الزبيري في قصيدته (الحنين إلى الوطن) كان أكثر توفيقاً من غيره في التعبير عن الغربة وويلاتها، بل إن الغربة عنده: غربتان: خارجية وداخلية، إذ يقول:

آه ويــح الغريــب مـاذا يقاســي　　　مـن عـذاب النـوى ومـاذا يعانــي

كُـشِفَــتْ لــي في غربتــي سَــوءةُ　　　الـدنيا ولاحــت هناتــها لعيانــي

كلــما نلــت لــذَّةً أنذرتنــي　　　فتلفــت خيفـــة مــن زمانــي

وإذا رُمــتُ بــسمــةً لاح مــرأى　　　وطنــي فاستفزنــي ونهانــي

لــيس في الأرض للغريــب ســوى　　　الـدمع ولا في الـسماء غـير الأمـاني[2]

ويبدو أن الزبيري قد عارض بقصيدته هذه قصيدة المتنبي التي قالها في غربته بشيراز وفيها يقول:

مــغاني الــشعب طيــاً في المغــاني　　　بمنزلــة الربيــع مــن الزمــان

ولكــن الفتــى العربــي فيــها　　　غريـب الوجـه واليـد واللـسـان[3]

فإذا تأملنا شعر الزبيري فإننا نجده في أغلبه محفزاً لشحذ الهمم، فهو ثورة دائمة ونارٌ متوهجة لا تنطفي، وهذا يتطابق مع نفسه وشجاعته ومواقفه النضالية والجهادية، وهذه كلها لم تبارح المتنبي فالزبيري كما يبدو كان الأقرب في فخره وقوة إرادته إلى المتنبي، ولعل التقارب يكمن بين الشاعرين في غرضي المدح والفخر، وقد بدا ذلك واضحاً في كل من (كافوريات المتنبي) و(وثنيات الزبيري) وهي القصائد التي مدح بها الإمام بهدف الإصلاح. غير أن شعر الزبيري من الناحية الفنية يميل في بعضه إلى الوضوح والتقريرية في حين مال شعر المتنبي في أغلبه إلى التقنية الفنية العالية، فضلا عن توفقه في الناحية الموضوعية، والتي أصاب بها

---

(١) شرح ديوان المتنبي ٣/ ١٧ .

(٢) ديوان الزبيري (صلاة في الجحيم)، ٣٢٦

(٣) شرح ديوان المتنبي ٢٥١/٤.

وبسهام عديدة ما كان يختلج في نفس كل عربي .و يرجع سبب تأثر الشعراء بموروث المتنبي إلى ثورية المتنبي، ورفضه الضيم وإبائه.

وقد كان الحضراني في غربته في روما سنة ١٩٦١م أقرب إلى غربة المتنبي في شيراز في كل معانيها ومضامينها ودلالاتها ،فقد أنشد المتنبي نونيته في شيراز عام (٣٥٤هـ) بعد أن عصفت به الغربة، واصفاً شِعب بوّان، وجمال طبيعته قائلاً:

مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان[١]

مع هذا لم يستحوذ الشِّعب رغم جمال الطبيعة فيه، ولا أهله على إعجاب المتنبي فقد انعطفت ذكرياته إلى دمشق ورياضها ،وأهلها ففضلها على شعب بوان ومن حل فيه، وأوضح تأثره بالغربة وحنينه إلى بلاده وقومه وخصالهم العربية:

ولو كانت دمشق ثنى عناني لبيق الثرد صيني الجفاني[٢]

وإذا كان المتنبي يستطرد في ذكرياته عما لاقاه في دمشق، فإن الحضراني قد عبر عن غربته ومرارتها في قصيدته (يمني في شوارع روما)، إذ يقول فيها:

تتساءل الجدران بي وأنا بساحتها أطوف

من ذلك الوجه الغريب وذلك الشبح النحيف

يمشي فيمشي حول هيكله من الماضي يطوف

الذعر في نظراته والرعب والغلق المخيف

ويقول:

يا مهبط (الرومان) هذا ما جنى الزمن العجيفُ

من عهد (حمير) لا يزال يروعنا أو عهد خوفو

والجرح جرح المستبدّ له بأكبُدِنا نزيفُ

أمشي بـ (روما) حائر الخطوات لي سمع كفيفُ

---

(١) شرح ديوان المتنبي ٢٥١/٤.

(٢) م.ن ٢٥١/٤.

يتحســـس الكلمـــات كالأعمـــى بمهمهـــةٍ يطـــوفُ

الـــدار تنكرنـــــي ولكنـــي بـــساكنـــها شغـــــوف

أشـــدو فينكـــر جوُّهـــا شـــدوي، وتلفظـــه الـــسقوف[1]

وقد عبر البردوني عن إعجابه بالحضراني، وقد علق على البيتين السادس والسابع بقوله:"والبيتان السادس والسابع نظرية وراثية مقررة في العلم،وجميلة في الإيقاع الشعري، أما البيت الثامن فلمعة عبقرية زادتها إشراقة لغة السمع الكفيف:

أمشـــي بـ (روما) حائـــر الخطـــوات لي سمع كفيـــفُ

فهي أروع من غريب الوجه واللسان عند المتنبي." [2] وعن البيت التاسع يقول البردوني: "على ما فيه من صور، فهو توضيح غير ضروري، ففد كانت كلمة السمع الكفبف إيماءة مشرقة إلى حيرة الغريب بين من لا يفهمهم ولا يفهمونه، وهذه الإيماءة غنية الاحتمال، ولو لم يكن البيت التاسع لترك للقارئ مجال التصوير والتخييل، لكن الإيضاح المتناهي حرم القارئ متعة التصور والرنو إلى إضاة الرمز، فبعد أن عرفنا السمع الكفيف لا قيمة للبيت الذي تلاه

يتحســـس الكلمـــات كالأعمـــى بمهمهـــةٍ يطـــوفُ "[3]

ويرجع السبب في ذلك إلى أن تشبيه الكفيف بالأعمى إلى تشبيه الماء بالماء والغراب بالغراب؛ ولأن تشبيه الشيء بنفسه أو مثله بفقد التشبيه الأبعاد الشعرية.[4].

والحق أن توظيفاً كهذا له أهمية خاصة، إذ إنه خلق دلالة جديدة اختلفت عما هي عليه في الصورة القديمة. وقد وفق البردوني فيما ذهب إليه، ويبدو أن الموقف النقدي قد انطلق من روح الدعابة التي تتوافق مع معاناة البردوني، الذي يعاني من

---

(١) ديوان الحضراني، ص ١٩٩،وينظر: القطوف الدواني، ص١١٦ .

(٢) رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه، ص٧٦ وينظر: ديوان الحضراني، ص ١٢٥، وينظر: القطوف الدواني، ص١١٦ .

(٣) رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه، ص ٧٦ وينظر: ديوان الحضراني، ص ١٩٩، وينظر: القطوف الدواني، ص١١٦ .

(٤) ينظر رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه، ص٧٦ ديوان الحضراني، ص ١٢٤- ١٢٥، وينظر: القطوف الدواني، ص١١٦.

الغربة الداخلية أكثر من غيره من الشعراء المعاصرين له، كذلك وفق الحضراني في قصيدته هذه، والتي تعبّر عما يعانيه الغريب في غربته. كذلك، وهذا يتوافق مع طموحه و ثورته وموقفه الرافض.

وحينما زار الحضراني واشنطن، نزل ضيفاً على السيد الشاعر قاسم بن علي الوزير، ومما قاله في هذه الزيارة قصيدته(غريب في بلاد الأعاجم)، وفيه يقول:

ظلمت لسان الشنفرى إذ جررته معي لبلاد البعد بن الأعاجمِ

ومن نزل الأيام وهي بخيلةٌ نزول غريب في رحاب الأكارمِ[1]

ويعلق البردوني على شاعرية الحضراني بقوله:"فالحضراني شاعر في كل الوجوه أصالةً وفكرةً وتعبيراً ،والدليل على أصالته أنه لم يتخلَّ عن الشعر على حين سكت الكثير من زملائه تحت وطأة الصدمة، فعندما أطلق من حجة تابع سيره في قصائد قصيرة ومقطوعات"[2].

ويعد المقالح خير من جسد تجربة الغربة التي امتزجت بالحنين إلى وطنه، وقد أخذت قصائده نصيباً كبيراً من شعره و"ضمن تعابير شعورية وانفعالية إيحائية ومباشرة، لكنه حين جسدها عن طريق نماذج من شخصيات التراث استطاع أن يطلق عليه (التجربة الأنموذج)،لأن الشاعر قد جعل من تلك الشخصيات وتجاربها الاغترابية معادلاً موضوعياً وفنيَّاً لتجربته، ولاسيما شخصيات الشعراء، وكأنه بذلك يعلن بأنه قد عانى الغربة بأشكالها المتعددة"[3] .

ولعل قصائده قد أثبتت فعلاً عن مدى معاناته من الغربة، لقد كان المقالح أكثر الشعراء مقدرةً على استحضار الصور من التراث الشعري،مع الإبانة عن مصدرها وأصلها القديم، وفي قصيدة المقالح "السفر في الذاكرة الأبجدية "والتي

---

(١) ديوان الحضراني، ص٣٢٠، وينظر: القطوف الدواني، ص١١٦. وللشاعر لطفي أمان قصائد تدل على الغربة منها (غريب)، و(غريبان)، ينظر: الأعمال الشعرية الكاملة١/١٢٦، ٣٥٥.

(٢) رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه، ص ٧٦ وينظر: ديوان الحضراني، ص ١٩٩.

(٣) استلهام التراث في شعر عبد العزيز المقالح، خديجة حسين المغنج، ص١٥٢.

أهداها إلى روح الشهيد "علي عبد المغني"عمد إلى تضمين أبيات من الشعر القديم منه العجز الأخير من بيت المتنبي(ما لجرحٍ بميت إيلام) [1].

كذلك ترى المقالح مجيداً في رسم الصورة كما في قوله في قصيدته "رسالة إلى سيف بن ذ ي يزن":

غريب أن رحلتَ،

غريب الوجه في الدار

وبين عبيد ليل الأرض،

تبحث عن ملائكة وثوّار [2]

فهذه صورة تومئ بنفسها إلى غربة المتنبي في شعب بوّان:

ولكـــن الفتـــى العربـــي فيـــها	**غريـــب الوجـــه واليـــد واللـــسان** [3]

فالشاعر يشعر بالغربة، فإذا الفتى العربي يشكو الغربة في (بوّان) كما يرى المتنبي، فإن الشعب العربي عند المقالح (بوّان) أخرى لافتقاده الانسجام النفسي، على الرغم من أن لغته واحدة.

أما علي محمد لقمان فقد تأثر بالمتنبي في كثير من قصائده، غير أن الاتجاه الوجداني كان السائد من هذه الأفانين الشعرية، وإذا كان للمتنبي نصيبٌ ضئيل من النسيب مع علمنا من أنه أحب وأخلص للحب، فقد كان لهذه الضآلة قيمتها الفنية العالية، وهذه التقنية هي التي جعلت لقمان يتأثر بها، لأنه عانى من الحب ما عانى من ويلات شتى كادت تعصف بقلبه وتصدعه، فقد قال في قصيدته (غزل وسياسة) ومطلعها:

في مغـــاني الجمـــالِ ليـــل طويـــلُ	**ونهـــار جـــوى وشـــوق شـــكولُ**
لا تـــرى غيـــر ساهـــر في حنـــين	**شاعـــرٌ لا يقـــول أو لا يقـــولُ**
في ريـــاضٍ عبـــيرها مـــن غـــوانٍ	**عاطـــراتٍ وماؤهـــا سلـــسبيلُ**

---

(1) الأعمال الشعرية الكاملة، ٢/٦٥٤ .

(2) الأعمال الشعرية الكاملة ٢/٦٠١ .

(3) شرح ديوان المتنبي ٤/٢٥١.

فحــــبيبٌ عيــــونه في حبــــيبٍ — وخلـــيلٌ فـــي مقلتيـــهِ خلـــيلُ

كــل ممــشوقــة لبانــة مــشــتاق — عـــلى خـــدِّها دم مطـــلولُ

يـا بنـات الـسما في الأرض لا تحجـبن — حـــسناً فالحـــسن أفـــقٌ جمـــيلُ

أنـــا لا أبعـــثُ الرســول إليكـــن — بوجـــدي فلـــن يعـــود الرســـولُ

جئـــت بالنغمـــة الـــتي تتـــغنى — بهـــوى وحـــبّهُ نـــسيمٌ علـــيلُ[1]

وقد كانت هذه المعاناة على أشدها لدى المتنبي الذي يصور لنا وقعة الغريب، وما يعانيه من طول ليله في غربته، وما يكابده فيها في قصيدتين: الأولى من الخفيف، وفيها يمدح سيف الدولة، ويشكره على هدية كان قد بعثها إليه من حلب يطالبه بالرجوع إليه، وكتب إليه بها سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة من الكوفة إلى حلب، ولكنه في قصيدته يصرح بما يجيش بعاطفته من حبٍّ، ولعل غيرته خير من أفصح عن هذا الحب، إذا يقول:

مالنـــا كُلـــُّنا جـــوٍ يـــا رســـولُ — أنـــا أهـــوى وقلـــبُكَ المتـــبولُ

كلَّمـــا عـــاد مَـــنْ بَعَثْـــتُ إليـــها — غـــار منـــي وخـــان فيمـــا يقـــولُ

أفـسدت بيننـــا الأمانـــات عينـــا — هـــا وخانـــت قلـــوبهنَّ العقـــولُ[2]

والثانية من الطويل:

ليـــاليَّ بَعْـــدَ الظـــاعنينَ شـــكولُ — طِـــوَالٌ وليـــل العاشـــقين طويـــلُ

يُـــبِنَّ لـــيَ البـــدرَ الـــذي لا أريـــدُهُ — ويخفـــينَ بـــدراً مـــا إليـــه سبـــيلُ

ومـــا عـــشت مـــن بعـــد الأحبَّـــةِ سَلْـــوَةً — ولكـــنني للنائـــبات حمـــولُ[3]

(١) الأعمال الشعرية والمسرحية الكاملة (هدير القافلة) ١/٣٩٣-٣٩٤.

(٢) شرح ديوان المتنبي ١٤٨/٣. والجوى الذي أصابه الجوى، وهو داء في الجوف، والمتبول: الذي هيّمه الحب وأسقمه.

(٣) شرح ديوان المتنبي٣/ ٩٥. وشكول: جمع شكل. وشكل الشيء: مثله. وجمع القلة: أشكال، وأتى هنا بجمع الكثرة، لأنه أبلغ في شكوى الحال. والظاعنين: جمع ظاعن، وهو المرتحل.

فالمتبي في قصيدته الأولى يتهم رسوله الذي أرسله إلى محبوبته بمشاركته في حبها ، وعلى الرغم من تأكيده أنه - أي المتنبي - هو العاشق إلا أنه يرى أن من يبعثه إليها يُفْتَنُ بها وهذا يعود إلى جمالها ، وعلى وجه التحديد عيناها الساحرتان، وما تودعه في القلوب بفنون لحظهما الذي أفسد الأمانة مع من يبعثه إليها ويرى أن ليالي بعد الظاعنين من أحبته متشاكلة في طولها متشابهة في تعذيبه بها ، ويشبه ذلك بليل العاشقين في طوله وبما يقاسونه من السهر، وما يتجدد لهم فيه من الفكر ، فهكذا كان ليل المتنبي طويلاً لبعد الحبيب عنه ، وقد أكّد هذا البعد والمكابدة ، فكم كان يتمنى أن تكون مواصلة أحبائه له التي لم تبارحه؛ والعكس كذلك في الشق الآخر من أمنيته ، فيتمنى أن تكون المسافة بينه وبين المصائب المسافة نفسها التي بينه وبين أهله وأحبته ،فإن تحققت أمنيته ، هدأت روحه المشتعلة وتقلصت معاناته لكن كل ذلك لم يتحقق على أرض الواقع ، فيقول:

فيا ليت ما بيني وبينَ أحبَّتي مِنَ البُعْدِ مابيني وبينَ المصائبِ[1]

ومن تأملنا لمعاناة الشاعرين (المتنبي ولقمان) تتضح ملامح الالتقاء ،ولكن السؤال الذي يطرح نفسه عن هذا الحب، ما هو؟ وما طبيعته؟ وهل أخذت دلالات أخرى؟ أم أنها سارت على السياق نفسه ؟ فهذا الاستفهام يقودنا أيضاً إلى الإجابة التي تؤكد المنحى الرمزي الذي سارت عليه تجربة الشاعرين، والدليل الآخر ما ذهب إليه علي لقمان في قوله من قصيدته (حوار مع حمامة عصيفرة):

أيا جارتا! ليلُ الغريب طويل وأوهامه في الساهرين شكولُ

تغنِّين في وجدٍ وأنتِ مقيمةٌ فكيفَ بأحوالي وكيفَ أقولُ ؟[2]

وفي قصيدته (من جبل صبر) يقول لقمان:

طال ليل المعذب المتبولِ أفيقوا من العذاب الطويلِ[3]

---

(١) شرح ديوان المتنبي ١٤٨/١ .

(٢) الأعمال الشعرية والمسرحية الكاملة (يا ليل في عصيفرة) ١ / ٨٢٠ .

(٣) م.ن ٧٧٠/١ .

فنصوص لقمان في قصائده الثلاث جعلت من نصوص المتنبي في قصيدتيه محوراً لمعالجة كثير من آلام الغربة ومآسيها، وفي النصين قواسم مشتركة كثيرة وإشارات لما يتجرع كل منهما من مرارات ومصائب وويلات، وقد تختلف أحياناً الرؤى والمقصدية، فإذا كان المتنبي قد اتَّهم رسوله الذي بعثه إلى حبيبته بالخيانة وإفساد العلاقة، عمد لقمان إلى سلك طريقٍ آخر، فلم يبعث رسولاً مؤكداً أنَّ الرسول لا يعود، ولكنه ارتأى أن يبعث وجدانه ومشاعره وروحه ونغمه إلى حبيبته، وقد كان موفقاً في ذلك، ونعزو ذلك إلى صدق عاطفته، وحبه الحقيقي الذي لم يبارحه، في حين أنَّ المتنبي اتخذ من هذا المنأى بعداً رمزيّاً له أبعاده ودلالاته، فالمتنبي لا يرى استرداد الحق إلا بالقوة، في حين كان لقمان مسالماً لدرجة أنه كان يفضِّل أن يخرج الاستعمار البريطاني من جنوب اليمن بالطريقة السلمية.

الفصل الرابع

المتنبي قناعاً في شعر اليمن الحديث

الفصل الرابع
المتنبي قناعاً في شعر اليمن الحديث

لقد حاول شعراء اليمن أن يلونوا قصائدهم بأحد معطيات المسرح، وهو (القناع) أو ما يعرف عند النقاد والشعراء بقصيدة القناع[1]

وقد حدّدَ الدكتورُ إحسان عباس مفهوم القناع في الشعر، إذ "يمثل القناع شخصية تاريخية - في الغالب- يختبئ الشاعر وراءها ليعبر عن موقف يريده وليحاكم نقائض العصر الحديث من خلالها" [2]

ويرى مجدي وهبة أن لفظة قناع في العمل الأدبي تستعمل "للدلالة على شخصية المتكلم أو الراوي في العمل الأدبي ويكون في أغلب الأحيان هو المؤلف نفسه.. والأساس النفسي لهذا المفهوم هو أن المؤلف عندما يتكلم من خلال أثره الأدبي يفعل ذلك عن طريق شخصية مختلفة ليست سوى مظهر من مظاهر شخصيته الكاملة، ويظهر ذلك جلياً في ضمير المتكلم مثلاً في الرواية أو في القصيدة، حيث لا يشترط أبداً أن تعادل (أنا) الراوي أنا المؤلف الحقيقي" [3] ويجب أن يرتبط القناع بالرمز "برابطة متينة بحيث أن من الممكن تماماً أن يرتقى كل قناع إلى مستوى الرمز وفاعليته، لكن الرمز لا يتحول بالضرورة إلى قناع " [4]. فاستخدام القناع وسيلة

---

(١) القناع لغة هو ما تغطي به المرأة رأسها من ثوب وغيره، وجاء في لسان العرب" المِقْنَع والمِقْنَعَة.. ما تغطي به المرأة رأسها .. وقال عنترة:

إن تغدِ في دون القناع فإنني ... طبٌّ بأخذ الفارس المستلهمِ

وقال الأزهري: "ولا فرق بين الثقات من أهل اللغة بين القناع والمقنعة" لسان العرب ابن منظور مادة (قنع)، والبيت في ديوان عنترة ومعلقته، ص ٦١.

(٢) اتجاهات الشعر العربي المعاصر، د. إحسان عباس، ص ١٥٤ .

(٣) معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبة ٣٩٦.

(٤) في حداثة النص الشعري، دراسات نقدية، علي جعفر العلاق، ص ٨٢.

فنية تعبر عنها رغبة الشاعر للارتقاء بشعره إلى عالم التعبير الموضوعي والتجربة الإنسانية. لذا يجب أن تتوفر في الرمز الذي يريد الشاعر اتخاذه قناعاً عناصر مضيئة في التراث الإنساني، بحيث يكون قادراً على تحمل مضامين جديدة ومعاصرة.

ولذلك لم يكن لشعراء اليمن من بد من تقمص شخصية المتبي، وتعد قصيدة (وردة من دم المتنبي) لعبد الله البردوني من أهم محاولات القصائد العمودية الناضجة في شعر اليمن الحديث لكتابة قصيدة القناع التي يغلب عليها الأسلوب القصصي المبني على الحوار والسرد، فضلاً عن قناع المتبي الذي تقمصه البردوني، وقد صورت حياة المتبي وثورته بطريقة درامية..

غير أن العنوان يوحي وكأن القصيدة تقف عند الأنفاس الأخيرة للمتنبي، وقد أثخنته الجراح، ودمه يسيل في معركته الأخيرة غير المتكافئة مع أعدائه،نعم ربما يكون كذلك، طالما والمتنبي قد وصل لغايته التي ينشدها منذ صباه ألا وهي الشهادة التي استحقها بعد جهادٍ طويلٍ وحافلٍ في تاريخ الأمة . فلا غرو أن ينبت دم المتبي المسفوك على أرض العراق الطاهرة ورداً حمراء يهديها للشعراء والمجاهدين العرب في كل زمان. وقد وصلت إليهم هذه الهدية غير أن شعراء اليمن خير من قبلها وأخذها على محمل الجد، وقد عبر الأستاذ هلال ناجي عن هذه الفروسية وروحية الفداء العالية عند أدباء اليمن، إذ يقول: ((فما أعرف بين أقطار العرب كافة قطراً قدّم أغلى الضحايا من أدبائه على مذبح الحرية كالقطر اليمني.. ولم يجتمع لقطر عربي هذا النصيب من الشهداء في أدبائه كما اجتمع للقطر اليمني)).[1]

وقد سادت الوطن العربي نهضة قومية حاولت التمسك بالأرض والوجود العربي وإثباته من خلال المناداة بالوحدة العربية والدفاع عن الحق العربي في كل مكان من أرجائه.

و"هكذا يقدم لنا البردوني ذكرى الشاعر أبي الطيب وردة من دمه، أي أنه يأخذ المتبي الذي يرفض أن يضمه قبر، ويظل يمتد في زمان كنهر متدفق دائم

---

(١) شعراء اليمن المعاصرون، ص ٦ .

الجريان يقيم البردوني محاورة نصّيّة بين الشاعر المعاصر الذي يحمل ميراث الانحدار العربي ويتجرع المعاناة ذاتها التي عاشها المتنبي في زمانه. كأن المتنبي لم يمت، أو كأننا لم نفق بعد من سباتنا، رغم أن المتنبي مات غدراً، ومات قهراً في ليل الحضارة العربية الداجي الظلمة" [1] بعد أن كانت دعوته وحدة الأمة ولمَّ الشتات ومحاربة الأعداء.

لقد رضي البردوني أن يصبح ناطقاً بلسان المتنبي، ويبدو أن هذا التوظيف حقق للبردوني راحة نفسية كبيرة، لأن هذا الدور وفر له فرصة تقمص الشاعر الشهيد بعد معاناة النفي والفقر والغربة والجهاد والطموح، والصدام مع العصر، وتنكر الأصدقاء، وشماتة الأعداء. إن المماهاة بين الشاعرين سهلت على الناطق إعطاء التجربة بكل حرارتها مرشحة على عصريهما، وأتاحت له فرص الالتفات في صيغ الخطاب والمناوحة بين الضمائر، فضلاً عن المناوحة بين العصور، أما الصوتان اللذان قصد بهما فلم يتجاوزا صوت الراوية - الشاعر المعاصر وصوت المتنبي- وعلى الرغم من تداخلها في التعبير عن مواقف المتنبي، إلا أنهما قد أسهما في وحدة القصيدة؛ لأنها حفرت في العمق في مكان واحد هو النقطة التي تلتقي فيها معاناة الشعراء في كل العصور.ولكن معاناة المتنبي لها وقعها الخاص، لا لأنه شاعر مجدد في عالم الشعر فحسب، بل لأنه يتحدى الأزمات ويدوس المنايا ويجتاح معاقل الخصوم ويواجه الموت الكالح، وكم قد اكتوى بنار الخصوم وتلظّى برمضائهم، وقد بدأ البردوني الحوار بصوت الراوية متحدثاً عن بطله :

من تلظِّي لموعِهِ كاد يعمى	**كاد من شهرة اسمه لا يُسمى**
جاء من نفسهِ إليها وحيداً	**رامياً أصله غُباراً ورسما**
حاملاً عمره بكفيه رُمحاً	**ناقشاً نهجه على القلب وشما**

(١) البردوني هوميروس اليمن "مقال" هشام علي، مجلة الثقافة، السنة الرابعة، العدد الرابع والعشرون – يوليو١٩٩٦م،٨٧ .

خالعــــاً ذاتــــه لـــــريح الفيـــــا في ملحقــا بـــالملوك والـــدهر وصـــما[1]

ففـي هـذه الأبيـات إشـارة إلى لقـب المتنبي الـذي لـصق بـه كرهـاً، وذاع شـهرة وطغـى علـى اسمـه الحقيقـي، وإذا كنـا نـرجح الآراء الـتي تـدحض تهمـة النبـوة عـن المتنبي، بدليل أن شارحي ديوانه من القدماء ينفون أن المتنبي قد ادعى النبوة، فضلاً عن جهابذة النقاد المعاصرين، وكان هو سئل من قبل ابن جني ونفى نفياً تامّاً هذه التهمة .وفي رواية أخرى قيل للمتنبي" على من تنبّأت؟ قال: على الشعراء، فقيل له: لكل نبي معجزة فما هي معجزتك ؟ قال معجزتي هذا البيت:

ومــن نكـد الـدنيا علـى الحـرِّ أن يـرى عــدوّاً لـه مــا مِـن صـداقتِهِ بُــدُّ " [2]

وإذا مـا أنعمنـا النظـر في أبيـات البردونـي نجـد أن الراويـة قـد اسـتخدم "الفعـل الماضي لتقديم إضاءات خارجية عن بطله، وحين تقطع بعض الأصوات أسلوب السرد لتقديم إضاءات عن البطل من خلال الحوار تتحول الصياغة من الفعل الماضي إلى المضارع، ويتم الاعتماد على الجمل الاسمية بدرجة أكبر" [3]، إذ يقول:

مــا اسـم هـذا الغـلام يـا ابـن مُعـاذٍ اسمـــه (لا):مـــن أيـــن هـــذا المُـــسمَّى؟
إنـــــه أخـــــطر الـــصعاليك طُــــرّاً إنـــــه يعـــــشق الخطـــــورات جَمّـــــا
فيـه صـاحت إدانـة العـصر: أضـحى حكمـــا فـــوق حاكميـــه وخـــصما
قيـــل: أردوه، قيـــل: مـــات احتمـــالاً قيـــل: همّـــت بـــه المنايـــا وهمَّـــا[4]

نتأمل قليلاً في هذا اللقب الجديد "لا"ومن أين جاء الاسم؟ ومن أين هذا المسمّى؟ فهذه شجاعة المتنبي وفرادته وحكمته وتمرده فقد قال: "لا"، في حين لا يعرف غيره أبـداً هـذا المـصطلح أو المـسمى حينـذاك، وفي هـذا المعنـى دلالات ومعـانٍ كـثيرة استوعبها البردوني ووظفها بهذه التقنية وهذه الفرادة، وفي هذه الأبيات عودة لما قاله المتنبي:

(١) ديوان عبد الله البردوني، الأعمال الشعرية (وجوه دخانية في مرايا الليل) ٩٦٥/٢ .

(٢) شرح ديوان المتنبي ٣٧٥/١.

(٣) الشعر الحديث في اليمن ظواهره وخصائصه الفنية، ٢٣٣ .

(٤) ديوان البردوني٩٦٦/٢ .

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي   وبنفسي فخرت لا بجدودي[1]

وقوله بعد أن تنكر لإبداعه قومٌ في مجلس سيف الدولة. وقد وصل بهم الزعم أن ينشروا خبر موته؛ وهو مازال حيّاً يرزق "ويشيعون نهايته، وهو لم ينتهِ، فهو ساكن في ضمائر الجمهور، خالد في سفر الإبداع موجودٌ في ديوان العبقرية، وإن حساده يريدون شطب اسمه من سجل العظماء[2]، وقد رد عليهم بقوله:

يا من نعيتُ على بعدٍ بمجلسهِ   كل بما زعمَ الناعون مرتهنُ
كم قد قتلتُ وكم قد مت عندكم   ثم انتفضتُ فزال القبرُ والكفنُ
قد كان شاهد دفني قبل قولهم   جماعةٌ ثم ماتوا قبل من دفنوا
لاتلق دهرك إلا غير مُكترثٍ   ما دام يصحب فيه روحك والبدنُ
فما يدوم سرورٌ ما سررتُ به   ولا يردُّ عليك الفائتَ الحزنُ
ما كل ما يتمنى المرء يدركهُ   تجري الرياح بما لا تشتهي السفنُ[3]

وعلى الرغم من الحوار المكثف بين الشاعر وقناعه، إلا أن تقنية أسلوب القناع تقوم بدور الوساطة بين الشاعر وخطابه الشعري، بعد أن ظهرت تباينات بين الشاعر وقناعة من خلال هذا الحوار، غير أن ذهاب البردوني إلى هذا الأسلوب لم يكن عفوياً ولا من باب المصادفة بل تعمد ليكشف" ضرورة، ويقول البردوني:

أنعلو خيله نضاراً ليفنى   سَيِّد الفقر تحت أذيال نعمى
(غير ذا الموت ابتغي من يُريني   غيره لم أجد لذا الموت طعما
أعشق الموت ساخناً يحتسيني   فائراً أحتسيه جمراً وفحما
أرتعيه أحسهُ في نيوبي   يرتعيني أحسُّ نهشاً وقضما)
من تداجي يا ابن الحسين؟ (أُداجي   أوجهاً تستحقُّ ركلاً ولطما

---

(1) شرح ديوان المتنبي ٣٢٢/١ .

(2) ينظر: إمبراطور الشعراء (الشاعر والأسطورة) د ٠ عائض القرني، ٤١ .

(3) شرح ديوان المتنبي، ٢٣٥/٤ .

كم إلى كم أقولُ ما لست أني؟	**وإلى كم أبني على الوهم وهما؟**
تقتضيني هذي الجذوع اقتلاعاً	**أقتضيها تلك المقاصير هَدما)**
يبتدي يبتدي، يداني وصولاً	**ينتهي ينتهي يدنو ولّما**
هل يرى غير ما ترى مقلتاهُ؟	**(هل يسمي تورم الجفن شحما)؟**
❖❖❖	❖❖❖

فالشاعر ثائر على هذا الواقع ساعٍ إلى تغييره ولكن يفاجأ أنه يجد نفسه وحيداً في هذا الميدان بعد أن تغاضى الجميع عن الثورة، وهم القادرون على الثورة والتغيير، وعندما رأى الأمور آلتْ إلى ما آلت إليه من الضعف والخنوع والاستكانة عاد ليؤنب نفسه ويعاتبها، وقد صور معاناة المتنبي في مصر من الحمى ورمزيتها الأعمال الشعرية الكاملة (الخروج من دوائر الساعة السليمانية)

في يديه لكل سنين جيمٌ	**بين ماذا وعمّا**
لا يرى الذي يوافيه، يهوى	**أعنف الاختيار: إمّا، وأمّا**
كل أحبابه سيوفٌ وخيلٌ	**ووصيفاته: أفاع وحمّى**
(يا ابنة الليل كيف جئت وعندي	**من ضواري الزمان مليون دهما؟**
الليالي – كما علمت – شكولٌ	**لم تزدني بها المرارات علما)**[1]

فالشاعر يوظف موقف المتنبي وجهاده وثورته للإيحاء بحالة مماثلة يعانيها الشاعر المعاصر مع تأكيد الفارق، وهو أن شاعر اليوم هو من يسعى للتضحية، وأصبحت معاناة الشعب هي معاناته الخاصة.

كذلك نجد أن الجرس الموسيقي لحروف اللفظة يؤدي دوراً مميزاً وفاعلاً يثير الانتباه للمتلقي والشاعر معاً، ويمثل ضابطاً لإيقاع التدفق الآلي لانفعالات الشاعر بدرجة رئيسة، ويستوعب تجربة الشاعر، وفي الوقت نفسه يستوعب وجوده، ويقوم على هذا الحوار الدرامي الماثل في هذه القصيدة، كما أن استقلال أي كلمة بحروف معينة يكسبها ذائقة سمعية قد تختلف عما سواها من الكلمات التي تؤدي

---

(١) ديوان عبد الله البردوني، الأعمال الشعرية (وجوه دخانية في مرايا الليل) ٢/٩٦٧- ٩٦٩ .

نفس المعنى مما يجعل كلمة دون كلمة ـ وإن اتحدا معنى- مؤثرة في النفس إما بتكثيف المعنى وإما بإقبال العاطفة بما يتيح للشاعر أن يلتقي مع قناعه حيناً، وأن يتجرد عن ذاتيته أحياناً، ليفسح مجالاً للتعبير عما تكنّه سعياً لمعالجة الواقع المعيش برؤية معاصرة لها أبعادها ودلالاتها.أو يكون التأثير بزيادة التوقع فهي أحياناً تصك السمع، وحيناً تهيّئ النفس، وحيناً تضفي صيغة التأثر فزعاً من شيء أو توجهاً لشيء أو رغبة في شيء.. هذا المناخ الحافل تضفيه الدلالة الصوتية. وقد قال البردوني في مقدمته للقصيدة "ما ورد من الأبيات بين قوسين فهو على لسان المتنبي استخلاصاً من مواقفه، أو تضميناً من معاني أبياته"، فضلاً عن إشارات كثيرة طغت على القصيدة، "ويبدو أن جانب الاتفاق في الموقف بين التجربتين غالب على النصوص القناعية"[1] وقد أشار البردوني إلى كثرة أسماء الإشارات المتبعة على طريقة المتنبي وفي الأبيات الأخيرة ما يقودنا إلى قصيدة المتنبي التي قالها في مصر شاكياً الحمى التي تزوره في الظلام، ونقتطع منها أبياتاً للتمثيل:

وزائرتي كأن بها حياءً	**فليس تزور إلا في الظلام**
يضيق الجلد عن نفسي وعنها	**فتوسعه بأنواع السقام**
بذلتُ لها المطارفَ والحشايا	**فعافَتْها وباتت في عظامي**
كأن الصبح يطردها فتجري	**مدامعها بأربعة سجامِ**
جرحت مجرحاً لم يبق فيه	**مكان للسيوف ولا السهام**[2]

فالبردوني لم يتخلص نهائيا من صوته الغنائي خلال تقمصه القناع الدرامي في هذه القصيدة، كما تبدو علاقة الشاعر بالتراث أكثر سعة وحضوراً وأوضح إفادة من جميع الشعراء.

ويبدو أن الاستعمال الأدبي المبدع قادر أن يفجر في الكلمة ذخيرتها المعنوية والمعرفية وحدودها النغمية والبنائية معاً بما يكشف عن إمكانيات في اللغة غير متوقعة وحقائق مجهولة داخل حياتها. ولذا نرى أن البردوني قد جعل اللفظة الشعرية

---

(١) القناع في الشعر العربي الحديث ـ دراسة النظرية والتطبيق ـ د. سامح الرواشدة، ص٨٩.

(٢) شرح ديوان المتنبي٤/١٤٦- ١٤٧ .

في هذه القصيدة قادرة على التحرك ضمن نسيج صورتها الكلية مع تعدد الدلالات التي لا تنفصل عن السياق الشعري العام.

أما من حيث المضمون فإن البردوني قد أفاد من مضامين المتنبي ووظفها وأضفى على رموزه دلالات معاصرة، وقد وفق من دون شك في هذا الاستخدام الفني، ولعل توفيقه يكمن في محاورة قناعه تارة وبالتعبير على لسانه تارة أخرى، ويمكننا أن نعد البردوني رائداً في هذه التقنية بعد أن طوّع شخصية قناعه بما يعالج الواقع المعاصر. وبعد أن أدرك البردوني أن القصيدة العمودية قادرة على استيعاب رؤية العصر وآفاقه وبأسلوبٍ يعبر عن الجوهر الجديد ويقدمه من خلال الربط التام بين التجربة المعاصرة والصورة التراثية.

وقد تقمص البردوني دور الراوي، ولكنه لم يكتف بذلك بل يتدخل ليحاور المتنبي في بعض مقاطع القصيدة بقوله:

من تداجي يا ابن الحسين؟ (أداجي ... أوجهاً تستحق ركلاً ولطما

كم إلى كم أقول ما لست أعني؟ ... وإلى كم أبني على الوهم وهما؟

(يا ابنة الليل كيف جئتِ وعندي ... من ضواري الزمان مليون دهما

الليالي كما علمت شكولُ ... لم تزدني بها المرارات علما

ويقول:

يا أبا الطيب اتئد": قل لغيري ... "اتخذ حيطة" على من ومما؟

كلهم (ضبَّة) فهذا قناعٌ ... ذاك وجهٌ سمَّى تواريه حزما[1]

وقد وفق البردوني ـكما يبدو – في استخدامه الألفاظ وهو يتحاور مع قناعه، وقد أكثر من الجمل الفعلية، وركز بدرجة رئيسة على الفعل المضارع، ربما لأنه أكثر قدرة على الحوار، فضلاً أن "لغة الدراما هي لغة الفعل المضارع، الفعل الذي يجري الآن ولمّا ينقض بعد"[2] وهو الفعل الذي يستخدمه الراوي حين يلتقي بطله ليحاوره: غير أنه سرعان ما تعود الصياغة إلى الفعل الماضي عقب الانتهاء من

---

(١) ديوان عبد الله البردوني، الأعمال الشعرية (وجوه دخانية في مرايا الليل) ٢ /٩٦٩

(٢) الشمس والعنقاء، ص ١٩٩ .

الحوار مباشرة وبصوت الراوية يمهد للأحداث الدرامية، ثم صوت المتنبي نفسه متحدثاً عن معاناته، وتتداخل بعض الأصوات الأخرى، ولكنها سرعان ما تختفي ليبقى فقط صوت الراوي والمتنبي، بل لا يكتفي البردوني بأن يقوم بدور الراوي فحسب، بل يحاور المتنبي في بعض مقاطع القصيدة، وهذا الحوار يولد صراعاً، ويولد حركة تنتقل من موقف لآخر يقابله. والحياة في مجملها قائمة على هذا الأساس الدرامي.

وفي القصيدة نفسها ما يجعلنا نستشف تجاوباً كبيراً بين النفس وبين إيقاعات الشعر أو موسيقاه لأن "موسيقى النفس تتوقف على موسيقى اللفظ، فكلما كانت الكلمات متآلفة المقاطع متناسقة الأصوات اشتد تأثيرها في العقل، وحسن وقعها لدى لنفس، وذلك بموسيقاها العذبة، ونغمها الجميل.. وما ذلك التأثير إلا نغم النفس الناشئ عن ارتياحها وسلوكها مسلكها الطبيعي الخالي من الدهشة والاضطراب" [1]، وقد استطاع البردوني أن يكوّن هذا الإيقاع من الأصول التراثية النابعة من أوزان الخليل بن أحمد التي لم يحد عنها وفي الوقت نفسه لم يقفل ثمة إيقاع يضعه البردوني تبعاً للتجربة ويستسيغه الذوق العام ويحس به إحساساً جميلاً، وهذا ما نلمسه في كثير من قصائد الشاعر التي أثبتت أن هذه القصيدة من عنوانها حتى خاتمتها تمثل "أنموذجاً للعدول عن الغيبة إلى التكلم والعكس . وتعد من قصائد (القناع) بمعناه الواسع فقد تقنع فيها البردوني بالمتنبي، وتوزعت مقاطعها بين الغياب والحضور (هو – أنا) على الرغم من وجود ضمائر أخرى ماشية"[2].

والقصيدة طويلة تتكون من اثنين وثمانين بيتاً، ورد اثنان وعشرون منها بين قوسين وهذه الأبيات جاءت على لسان المتنبي تجسيداً لمواقفه أو تضميناً أو إشارة لمعاني أبياته، أما بقية الأبيات فهي بلسان الراوي الشاعر البردوني، وقد ورد في القصيدة أكثر من ثلاثين استفهاماً، وهذا الإكثار يعطي للنهي قيمة فنية ودلالية في سياق النص. ولا ريب في أن النص يقودنا إلى محاور كثيرة يتصدرها ما تعانيه

---

(١) دراسات في علم النفس الأدبي، حامد عبد القادر، ٩٣.

(٢) شعر البردوني دراسة أسلوبية سعيد الجريري (رسالة ماجستير) ص٥٧ .

الأمة من سجن وتشريد وإعدام . والبردوني يحاور المتنبي ويستفيد من تفصيلات حياته ومواقفه، ومضامين شعره بما يفصح عن علاج لهذا الواقع .

وقد "يبدو الحوار في هذه القصيدة لشدة تكثيفه، وعدم تحديد هوية الصوت الذي يحاور البطل كأنه حوار داخلي بين البطل وذروته وهو ما توحي به المراوحة في استخدام (الفعل) بين الماضي – صوت الراوية – وتجسيد الحدث باستخدام الفعل المضارع – صوت البطل"[1]، وهو الصوت الذي أفصحت عنه" العلاقة بالبطل العربي سيف الدولة، وهو شاهد على بطولاته بل هو الذي صاغ صورة سيف الدولة شبه الأسطورية، حين تجاوزت العلاقة بينهما حد المدح والتكسب إلى حد الإعجاب وحين فجرت معارك سيف الدولة أعلى مشاعر القوة عند المتنبي فصاغ منها أعلى القصائد إيقاعاً ولغة وخطاباً "[2]، وجعلها تسطر في التاريخ أنصع صفحاته، وأروع صور البطولات وأنبلها.

وقد اعتمد النص على أسلوب المزاوجة بين أسلوب السرد والحوار واضعاً أزمة قناعه وأزمته – أي البردوني في الصدارة عامداً إلى كشف النص أمامنا، بقوله:

(هل أقولُ الزمانُ أضحى نُذيلاً؟	**ربما قلت لي: متى كان شهما؟**
هل أسمي حكم النَّدامى سقوطاً؟	**ربما قلت لي: متى كان فخما**
أبتغي يا سيوف أمضي وأهوى	**أسهماً من سهام (كافور) أرمى**[3]

لذلك فإن هذه القصيدة قد تجاوزت الغنائية عن طريق الحوار والتجسيد والموضوعية مع علمنا أن البردوني قد سخَّر إمكاناته كلها حتى أخرجها على تلك الصورة الإبداعية ليؤكد أن "حداثة القصيدة العربية لا تكمن في خروج الشاعر العربي على الوزن والقافية، بل تتمثل حقاً في انعطافاته الكبرى لبلورة رؤيا خاصة

---

(١) الشعر الحديث في اليمن ظواهره وخصائصه الفنية، ص٢٢٤ .

(٢) الرموز التراثية في الشعر العربي الحديث، د. خالد الكركي، ص٢٢٧.

(٣) ديوان عبد الله البردوني، الأعمال الشعرية (وجوه دخانية في مرايا الليل) ٢/ ٩٧٠-.

به، وما ترتب على ذلك من بحث عن رموز وأساطير وأقنعة،يجسد فيها، ومن خلالها رؤيا ويمنحها شكلاً حياً ملموساً"[1].

ولا ريب في أن هذه القصيدة قد تميزت عن قصيدة القناع التي وظفتها القصيدة الجديدة، وربما يعود ذلك إلى أن البردوني قد تأثر بقصائد القناع التي اتخذت من المتنبي قناعاً[2] .

وتأسيساً على هذا فإن البردوني هو رائد قصيدة القناع في الشعر العربي (العمودي)، فقد استخدم القناع الشعري بوعي نظري وتطبيقي تام، والأنبل من هذا كله أن يجعل قناعه يتحدث ويتحاور وينفعل حيناً منفرداً وآخر مع تداخل الصوتين وغالباً ما كان ذلك يقترن بتقنيات الأداء الدرامي، ولكن هذا لا يعني أن صوت الشاعر الغنائي قد اختفى، فالبردوني لم يتخلص نهائياً من صوته الغنائي خلال تقمصه القناع الدرامي في هذه القصيدة،كما تبدو علاقة الشاعر بالتراث أكثر سعة وحضوراً وأوضح إفادة من جميع الشعراء.

أما القصيدة الجديدة فقد أصبح التراث عندها بناء عضوياً ينمو من خلالها وهذا أقصى غايات التفاعل بين صوره ومضمونه.. ولم يقف عند هذا فحسب بل أصبح الرمز التراثي قناعاً يتقمصه الشعراء ويسقطون من خلاله أبعاد رؤيتهم الشعرية ويتمثل ذلك بدرجة رئيسة في شعر المقالح، إذ ساعدته موهبته وقدرته في ذلك من خلال توظيفه لكثير من جزئيات مواقف المتنبي وأحداثه وغيرها.. في قصيدته (من تحولات شاعر يماني في أزمنة النار والمطر) نجد أن المقالح قد جمع في هذه القصيدة أكثر من تجربة، ولم تفته تجربة المتنبي، إذ يقول :

بكى الشعر مستمطراً أرعدت في الصحارى القوافي.

وكان الرجال ينادونني (المتنبي) هذا هو اسمي الجديد،

وفاتنتي هي (خولة) أخت السيوف. تذكرت حين بدا ضوؤها

---

(٤) الشعر العربي الحديث رموزه وأساطيره الشخصية ،ص ٥٦ .

(٢) ينظر: ديوان عبد الوهاب البياتي ١/ ٧٠١ والأعمال الكاملة لأمل دنقل ص١٤٧ وديوان حصار لمدائح البحر لمحمود درويش، ص٣٧ .

(روضــة) القلــب.. نفــس العيــون الــتي ترقــد الــشمس خلــفَ
بــساتينها تــستريح مــن الــسفر الــسرمدي كــان وجهــاً نــبيَ
الملامــح، جفّــت عليــه قُــروحُ الــشتاء، وإن حجبــت شمــسه
صُــفْرَةٌ مــن ذبــول الخريــف؛ فــأورق حــبي، تفجــر مــن عُمــقِ
أغــوارهِ نهــر شــعري. وفــوق حــدائقِ فتنتهــا أثمــرت كلمــاتي..
رأيت القصائد طالعةً من دمي كالسنابل في غابة الشمس [١]

ولم يقف الشاعر عن تقمص هذه التجربة العظيمة، بل إنه ضمن بيتي المتنبي تضميناً كاملاً، وفي القصيدة نفسها يقول الشاعر المقالح :

فــدينـاكَ مــن رَبْــعٍ وإن زدتنــا كَرْبــا　　　فإنَّك كنتَ الشَّرقَ . للشمس . والغَرْبا
وكيفَ عرفنـا رسمَ مـن لم تـدع لنـا　　　فُــؤَاداً لعرفــانِ الجمــال ولا لبَّــا

ولكن شمساً حلمت بها لم تعش في الشام طويلاً، فقد باعني الخوف للنيل، ضيعني موجه، وتنكر لي قصر "خوفو" تساقط في سجنه عَظْمُ شِعري. رجعت إلى المنزل المستباح ..[٢]

وإذا كان المقالح قد تمكن بشاعريته الفذّة من استخدام القناع في عدد من دواوينه، فإنه في قصيدته "تداعيات الليلة الأخيرة للمتنبي في مصر" تقمص شخصية المتنبي، واتخذ منها قناعاً ليعبر به عن تجربته، وموقفه العربي القومي، فقد رفض المقالح اتفاقية "كامب ديفد" الاستسلامية، مما أدّى به الأمر إلى مغادرة مصر، هو وعدد من زملائه الطلاب اليمنيين، وغيرهم من الطلاب العرب الذين كانت لبلدانهم مواقف من هذه الدعوة المشينة وبطريقة تتنافى مع أخلاقيات مصر ولا تتناسب مع الحب الكبير الذي يكنّه المقالح لها ولأبنائها، فهي تتجاوز القيم والأعراف والتقاليد، وإذا ما تجاوزنا المقطع الأول المليء بعبارات الوصف وأساليب الاستفهام،

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة (الكتابة بسيف الثائر علي بن الفضل) ٦٠١/٢ .

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة (الكتابة بسيف علي بن الفضل) ٦٠١/٢، والبيتان في شرح ديوان المتنبي١/ ٥٣، وقد وردت في الديوان (الرسوم) وليس الجمال في البيت الثاني.

فإننا لا نستطيع أن نتجاوز المقطع الثاني، والذي تكشف لغته عن تمرد الشاعر على حكام العصر، ووهنهم وإخفاقاتهم، وغيرها من المزايا المشينة، والقيم الغريبة التي تجمع بين المتناقضات والمفارقات التي تؤكد رداءة الوضع غير المعتاد، إذ يقول:

قادتني قدماي إلى النهر،

وجدت النهرَ يسير

ويعكسا المجرى

قلتُ لعرّافةِ وادي النيل :

هذا زمن الأسماء المقلوبة،

والأشياء المقلوبة..

زمن السـلم / الحرب

زمن الصلوات / الصفقات

سمعتني مرآة مالحة

وغادرني ماء الأمن الذهبي اللون،

فأخفيت قصيدتنا في الحلم

وململت حروف المطر القادم في ذاكرتي [1]

وقد تمكن الشاعر من خلال قناعه أن يعبر عن فلسفة واقعية تجمع بين الأضداد والمتناقضات في عصرٍ هو أهل لكل ذلك التناقض، فيتوجه الشاعر من خلال قناعه إلى وصف الوضع بثنائية متداخلة في (السلم والحرب) و(الصلوات والصفقات) مما يشي بوضع النقيض إلى جوار نقيضه، إذ يجتمع السلم والحرب معاً وتجتمع الروحية والمادية الزائفة، ومن هنا كان رفض الشاعر لذلك كله"[2].

(١) الأعمال الشعرية الكاملة (الخروج من دوائر الساعة السليمانية)، ٢/٥٣٠ — ٥٣١ .

(٢) استلهام التراث في شعر عبد العزيز المقالح، ص ،١٦٤.

ويفيد الشاعر من الجزئية التاريخية التي ربطت بين "المتنبي" و"كافور" متخذاً منها الموقف العدائي بينهما ،وعلى وجه التحديد أهاجي المتنبي لكافور، والتي تتواءم مع التوظيف الجديد للقناع داخل هذه القصيدة بما يعكس الموقف الذي قوبل به الشاعر في مصر من عداء ومطاردة، فضلاً عما سببته الاتفاقية من ضعف وإهانة، وتصدعٍ وشتات للأمة العربية والإسلامية لم تعرفه في تاريخها أبداً فقد تجرَّعت الأمرين، فالوضع المعاصر المشين الذي نعيشه اليوم هو من إفرازاتها المنهكة، ولعل تركيز المقالح على تداعيات الليلة الأخيرة للمتنبي في مصر أمرٌ في غاية الأهمية سواءٌ من حيث تحديد موقعه الرافض وإشهاره بوجه الأعاجم أو من إشعال ثورته الهجائية الكبرى بوجه كافور، وهذه المواقف تتطابق مع ما يومئ إليه المقالح، إذ يقول :

وصحوتُ

على صوت"الكلب"

الخارج من أحذيةٍ

يثقبها "كافور" إذا جن الليل،

ويرسلها باسم السلطان

لكي تبحث عن صوتٍ يتلفّع بالحزن،

ويبحث في وجه الليل،

عن القمر الغائب

عبر مساحات باهتة

ومعلّقة فوق شظايا الأرض

على مسمارٍ من كلمات الصحف

الصفراء

وفي عيني أسلحةٌ

وشوارع في السير،

و"كافور" القرصان الهابط

من مقبرة الخيل..

يحدق بحثاً عن وجهي في الليل.. [1]

ويفيد الشاعر من روح التمرد والطموح التي اتسم بها "المتنبي" لينقل من خلالها ما يتلاءم مع شخصية القناع من جرأة الموقف التي يعززها الشاعر، لأنه يبدو جانب الاتفاق في الموقف بين التجربتين غالباً على النصوص القناعية، وهذا المنحى يوظفه المقالح في قوله:

غمست يدي في ماء الصدق،

وقلت انتفضي يا كبد النعش،

اقتربي،

اقتربي،إني مصلوب في خيط رحيلي

كيف أعود إلى وطنٍ لا يملكه أهلُوهُ؟[2]

وإذا كان الطموح والموقف والجرأة والشجاعة وغيرها من المواقف النبيلة التي عرف بها المتنبي، فضلاً عن شاعريته الكبيرة التي جمعت بين أعداء المتنبي وحساده حتى تمكنوا من قتله، وقتل الطموح العربي، فما أشبه الليلة بالبارحة فطموح المقالح ومواقفه كثيراً ما أشقته وأنهكته، وإن لم تغتلْه أيادي الغدر، فقد اغتالت آماله.. آمال أمته وطموحها ،وعلى الرغم من هذا مازال الخطاب يتعاظم في حدته الثورية ليشكل إنذاراً أو دعوة عازمة على المواجهة:

إن الزمن المتوهج

في لغة الموت يصيحْ:

ويلٌ للشيطانِ

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة (الخروج من دوائر الساعة السليمانية) ٢/٥٣١ ـ ٥٣٢.

(٢) م. ن٢/٥٣٢.

وللباشا وللحاخام،

يوم تكونُ القارعة الكبرى،

وتقول القدس: صلاةً جامعةً

ووضوءاً بالماء الأحمر![1]

و على هذا النحو وفق المقالح في اتخاذ شخصية المتنبي قناعاً حقق به وظيفة فنية تعتمد على الرؤيا للتجربة الشعرية.

وفي القصيدة نفسها نجد المقالح يضمن معنى بيت المتنبي :

نامت نواطير مصر عن ثعالبها فقد بشمن وما تفنى العناقيد[2]

في قوله :

في اليوم السابع نامت مصر،

ونام النيل

ونام (الهرم الأكبر)

والصحراء

ونام (أبو الهول)،

وصوت (السدُّ)،

وقبر الفارس،

ونامت كل نواطيرها

لكن الشارع يستيقظ

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة (الخروج من دوائر الساعة السليمانية) ٢/ ٥٣٧.

(٢) شرح ديوان المتنبي ٢/ ٤٣.

يخلع أكفان النوم

يغادر ساحته يخرج من أعماق الرؤيا

يتوسع ..

يدخل في الفعل

ويشرب ماءَ رصاصٍ منقوع

في أقبية الأمن المذبوح

وتخرج مصر من النوم

ويغسل ناسٌ عينيها من رمل الحزن[1]

وقد نكتفي بتعليق الدكتور سامح الرواشدة على هذا النص، إذ يقول "فالمقالح في هذا النص يجعل مصر والنيل والهرم والصحراء وأبا الهول والسد، وقبر الفارس نواطير للوطن، وعدّها رموزاً للصدق والأمانة، ثم عدّ رموز السلطة ثعالب طامعة بخير الوطن وثماره، فرأى هذه الرموز الطيبة نائمة عن مسؤوليتها، ومتخلية عن رسالتها مما ترك الثعالب حرة التصرف بخيرات مصر، وهذه الدلالة شبيهة إلى حد بعيد بما رآه المتنبي حين رأى مصر مهملة لكافور ورجاله وهم الثعالب الذين قصدهم المتنبي قديما"[2].

فالشاعر يصور الأمة العربية وهي في حالة من الوهن والركاكة والانكسار، لاسيما وأن القطر العربي (مصر) الذي يتزعم هذه الأمة ويدعم نضالها القومي والتحرري، قد ارتمى فجأة في أحضان أعداء الأمة الكيان الصهيوني الدخيل الذي اغتصب أراضي عربية منذ ١٩٤٨م، وكان لهذا التطبيع أثر في التصدع العربي، فضلاً عن الغفلة والجهل والصمت الذي خيَّمَ على الحكام العرب، ويبدو أن شاعرنا قد وفق في تصويره الذي جعل من هذا الصمت والنوم إيقاظاً للشعب العربي في

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة (الخروج من دوائر الساعة السليمانية) ٥٣٩/٢ – ٥٤٠ .

(٢) القناع في الشعر العربي الحديث، ١٠٨ .

استرداد أرضه وحقوقه المشروعة، وقد ارتكب العدو الصهيوني بحق العرب عدداً من المآسي والمجازر والآلام، ودمر وأحرق، وانتهك مقدسات وأعراض الأمة، ومارس أبشع ويلات العذاب والتنكيل بتأييد غربي واضح، فضلاً عن التواطؤ العربي والضعف والاستكانة والتخاذل الذي أبداه الحكام العرب، إذ لم تحرك مؤتمراتهم ساكناً واحداً، وهذا هو الذي جعلهم في وضع لا يحسدون عليه، وفي حالةٍ يرثى لها .ولعل ما لفت انتباهي في هذا البحث أن الشاعر اليمني المعاصر قد تأثر بشعر المتنبي، وكان هذا جزءاً من مقصده، وقد كان ذلك رافداً لتقنيته الفنية وغاياتها ووظيفتها . وقد تتعدد الرموز في القصيدة الواحدة وهذا الأمر قد يمنح القصيدة الجديدة قدرة جديدة وأداء متميزاً بالشكل مما يجعلها قادرة على أن تبقى في ذاكرة المتلقي جذوة متوقدة تنير له جوانب الحياة الجديدة.

وقد شاءت الأقدار أن يكون ديواني الرابع (قبسات من جهادية المتنبي) خير من يعبر عن المتنبي، وقد وطئت بتوطئة عن هذا الشاعر، وفي سياق هذه التوطئة قلت: " لهذا أحببت أن أوضح للقارئ الكريم شيئاً من حياة الشاعر العظيم، حتى يتمكن من استيعاب قصائد ديواني هذا، والذي يبدو وكأنه وقفة من الوقفات النقدية المهمة التي تربط بين التراث والمعاصرة، ولما كان الديوان يتجهُ صوب المتنبي وشعره العربي الخالد، فقد كانت قصائد ديواني في مقدمة تلك الاهتمامات، ولأنَّ الشاعر المتنبي يمثل بقصائده ومواقفه وجه العرب المشرق في الشعر والبطولة والجهاد، فقد كان الدافع الرئيس لجعل ديواني الشعري الرابع عن هذا الشاعر العملاق الذي شغل الناس وملأ الدنيا، وكان لتوظيف هذا الرمز في ديوان كاملٍ لبادرة عظيمة واستجابة مثلى لرجلٍ سخر كل إمكاناته النضالية والفكرية والجهادية لمصلحة الأمة، فقد حمل على هامه قضاياها المصيرية، وجاهد أعداءها بسيفه ولسانه مجاهدة الأبطال، وأدرك أعمق الإدراك مسؤوليته التاريخية في التاريخ والجهاد .

وعلى هذا الأساس انطلقت رحلتي في عالم المتنبي؛ وحياته الجهادية، وقد كانت رحلتي هذه جميلة وشائقة وممتعة مع شاعر عربي كبيرٍ كان الأعاجم هم

مأساته،وحسه العربي يطغى على ما سواه بعد أن أصبح الأعداء في كل مكان، الروم أعداء والبويهيون أعداء، وقد وضح ذلك في قوله:

وســوى الــروم خلــف ظهــرك روم   فعلــى أي جانبيــك تميــلُ[1]

وهو يندب حظ العروبة بين هؤلاء العلوج وأفعالهم المشينة، وحقدهم الدفين على الأمة، إذ قال:

وإنمــا النــاس بــالملوك ومــا   تُفلِــحُ عُــرْبٌ ملوكهــا عجــم[2]

لقد عاش المتنبي في عصر تأزم فيه النظام السياسي للأمة العربية،وبدأ ينحدر ويتراجع الشموخ ويتهاوى بعد أن تصدعت الدولة العربية،وشكلت على أنقاضها مجموعة من الدويلات المتنازعة وبات الخليفة في معظمها أداة طيعة بأيدي العلوج الأعاجم، لا همّ لهم إلاّ التنكيل بكل ما يمت إلى العروبة بصلة".

"وعلى هذا لم يكن أمامي من بد من اللجوء إلى شعر المتنبي، لأن في شعره ما يلبي هذا الطموح لما فيه من عنفوان ثوري وجهادية فاعلة، فكان المحفز لي في نشر هذا الديوان مستفيداً من مضامين قصائده، والتي كانت من دون شك مورداً عذباً استقيت منه قصائد ديواني (قبسات من جهادية المتنبي)، لتؤدي دورها في استثارة أبناء الأمة لإذلال الخصوم والاستهانة بهم، فضلاً عن الوشايات وخطرهم، وبصورة مستمدة من رؤى الأحداث المعاصرة (فما أشبهَ الليلة بالبارحة).

وقد كتب مقدمة الديون الدكتور حسن دخيل الطائي، وقد أحببت أن أسجل ما كتبه في هذه المقدمة كاملاً لكي لا أكون معلقاً على ما كتبه طالما والأمر يعنيني، ولكي يتواكب مع ما نحن بصدده من أثر المتنبي، وقد قال الدكتور الطائي في تقديمه :"أطلعت على ديوان أخي وزميلي الأستاذ الفاضل الدكتور فضل ناصر مكوع والموسوم بـ (قبسات من جهادية المتنبي) وأعجبت بما تضمنته هذه المجموعة الشعرية من معان وأفكار، وما نبضت به من عواطف ومشاعر أظهرت ما يتمتع به الشاعر من موهبة مبدعة ومقدرة فائقة في أدائه

---

(١) شرح ديوان المتنبي٣/٢٣٨؟

(٢) م.٤٠/٥٩

الشعري، وهو ينشد هذه الأبيات الشعرية التي تزخر بحب اليمن والعروبة والإسلام وتنير الطريق أمام الأجيال العربية لاقتفاء منهج شاعر العرب الكبير أبي الطيب المتنبي، والداعي إلى التمسك بقيم العروبة والأخذ بناصية المجد والرفعة والشموخ، ورفض الذل والخنوع . أجمل ما في الديوان هذا التلاقي في الرؤى بين المتنبي والشاعر الدكتور فضل ناصر مكوع فكلاهما نذرا نفسيهما في خدمة العروبة، وعملا على إعلاء شأن العرب والذود عن حياض الأمة بشعرهما . فقد أفنى أبو الطيب حياته وهو يدعو إلى إحياء القيم العربية الأصيلة، وإلى إيقاظ الرقود بعدما أسمعت كلماته من به صمم، وهو يحضُّ أبناء العروبة إلى الإمساك بالرفعة والعلو وإلى بذل التضحيات من أجل ذلك فيقول :

إذا غامرت في شرفٍ مرومٍ فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في أمرٍ حقيرٍ كطعم الموت في أمرٍ عظيم[1]

وتبدو الرؤية المشتركة بينهما في خطر الأعاجم وما فعله هؤلاء الأعاجم في إثارة الفتن والاضطرابات وتمزيق النسيج الاجتماعي لهذه الأمة بما أثاروه من نعرات طائفية وعنصرية زائفة وتحويل الأمة إلى دويلات متصارعة، وتعمل على أضعافها من أجل أن يتمكن هؤلاء الأعاجم من تحقيق إطماعهم بنهب خيراتها والتحكم بمصير أهلها، والعمل على إذلالهم وفي ذلك يقول المتنبي :

وسوى الروم خلف ظهرك روم فعلى أي جانبيك تميلُ[2]

تظهر الحرقة وخيبة الأمل واضحتين في شعر المتنبي وهو يرى الأعاجم يتسللون إلى الحكم،ويغلب العرب على أمرهم،وبعدما يصبحون تحت رحمة الأعاجم حينها يرى أن العرب لا يفلحون في ظل هؤلاء الأعاجم فيقول:

وإنما الناس بالملوك وما تُفلِحُ عُرْبٌ ملوكها عجم[3]

---

(١) شرح ديوان المتنبي ١١٩/٤

(٢) م.ن ٢٣٨/٣؟

(٣) م . ن٤/٥٩

فقد استطاع الدكتور فضل ناصر مكوع بما عرف عنه من رؤية ثاقبة وموهبة متوقدة ورأي سديد أن يجد صلة وثيقة بين الأمس الذي عاش في ظله المتنبي وبين اليوم الذي عاش فيه الشاعر مكوع وكأنَّ التاريخ يعيد نفسه، فقد رأى أن الأخطار التي أحاطت بالدولة العباسية أيام عزها وكانت سبباً في تدهورها وانحلالها، وتمهيد السبيل أمام الأعاجم ليربضوا على صدورها ويخنقوا أنفاس أبنائها، ويتحكموا بمصيرهم هي نفسها التي تواجه عرب اليوم وما عليهم إلاّ أن يأخذوا الدروس والعبر من الماضي لينقذوا هذه الأمة، وهذا ما دعا إليه الشاعر فضل مكوع في مجموعته الشعرية، وهو يطلق الصرخات المدويّة التي تدعو أبناء اليمن خاصة وأبناء العروبة والإسلام عامة إلى أن يعتصموا بحبل الله ولا يتفرقوا، وأن يترفعوا عن كلِّ ما يحط من قدرهم، وأنَّ يتمسكوا بثوابت العروبة والإسلام وقد عبّر الشاعر مكوع عن حبِّه لليمن، فأظهرت هذه المجموعة أنه هو ابن اليمن البار الذي تغنى بحبها وعشق كل شيءٍ فيها، وحب اليمن تجسد في عروقه، ونبضت بهذا الحب كل قطرة من قطرات دمه، والجميل في الأمر أنه يمزج بين حب اليمن والعروبة فنجده يقول:

ويــــا روح يمنـــات معـــي دنـــدني	**ويـــــا روح ريـــــدان ردِّي الـــــسلام**
حـــذارِ حـــذارِ نجـــوم الـــسُّهى	**ولا تحـــــرمِ النـــور بـــدر التمـــام**
شـــربنا مـــن العـــزِّ مـــن زمـــزمٍ	**ومـــن مـــأربٍ للرضـــاء ابتـــسام**[1]

لقد أحب فضل مكوع العروبة، ورأى أنَّه جزء من وطن كبير، وأمة عظيمة، كرّمها الله عزَّ وجل بالنبوة والإسلام يوم أصطفى النبي محمداً خاتم أنبيائه، وشرَّف العرب بحمل هذه الرسالة السماوية ونشر أنوارها على البشرية، فكان الشاعر فضل مكوع شديد الغيرة على أمته، فجاء شعره زاخراً بالمعاني الجهادية، وهو يعبر عن التحديات التي تحيق بالأمة العربية بصور شعرية مؤثرة، فقد وضع يده على جرح الأمة وأمسك بالعلاج الناجح، ودعا أبناء الأمة إلى الأخذ به فقال:

---

(١) **قبسات من جهادية المتنبي، ص ٨ .**

وحـــــــلَّ الــــــشتات وأنواعـــــهُ وتـــنهش عـــصري ذئـــاب المكـــانْ

سمــــــوم الأفـــاعي وأنيابهــــا تبـــثُّ مـــن الأجـــنبي الجبـــانْ

أنـــادي أصــيحُ وحيـــداً أنـــا للـــمِّ الـــشتات بعـــد الهـــوانْ [1]

وتذكرني هذه القصيدة بما قاله بدر السياب في قصيدته (وصية من محتضر) التي قال فيها:

لا تكفروا نِعمَ العراق

خير البلاد سكنتموها بين خضراءٍ وماءٍ

الشمس نور الله تغمرها بصيفٍ أو شتاء

لا تبتغوا عنها سواها

هي جنَّةٌ فحذار من أفعى تدبُّ على ثراها [2]

وبرع الشاعر فضل مكوع في التغني برموز الحضارة اليمنية والعربية، ووظف بعضها للتعبير عمَّا يجول في خاطره من معاني شعره، لتجسد معاني الأمة الأصيلة في الرقي والنهوض والتقدم، ورفض الذل والخنوع، والدعوة إلى القيم العليا التي تنهض بواقع الأمة، ومجد من رموزها سيف الدولة الحمداني الذي حمى ثغور الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي المتاخمة للروم البيزنطيين الذين شكلوا خطراً دائماً على العروبة والإسلام، ورفع رأس العرب عالياً، وأذلَّ الروم الطامعين، فقال:

(أيـــا ســـيف ربـــك لا خلقـــه ويـــا ذا المكـــارم لاذا الـــشطبْ

وأبعـــــد ذي همـــــة همـــــة وأعـــرف ذي رتبـــةٍ بالرتـــب)

وحـــافظ علـــى النـــصر يـــا ســيفنا حـــذار الوشـــايات أن تقـــتربْ[3]

وقال في خولة أخت سيف الدولة:

---

(١) م. ن ،٨_٩

(٢) ديوان بدر شاكر السياب، تقديم ناجي علوش، دار العودة بيروت ٢٨٢/١ ـ ٢٨٣.

(٣) قبسات من جهادية المتنبي، ص ١٠.

ومـــا ســـاءني غــير مـــا قــد سمعــتْ يقولـــون شمــــسٌ عنــــا اختفــــتْ

ويـــا ليـــت هـــذا مـــن المرويــــات علــى هـــامش الــشعر قــوا في صــغتْ

وإن كــــان حقّـــاً فيــــا حـــسرتي علــى مـــن فقـــدنا ومـــن قـــد مــضتْ

ونفـــسي مـــن الحـــزن في مـــأتم فطـــارت إليهـــا وكـــم قـــد هـــوتْ

شــــرقتُ بـــــدمعي وفي عــــبرةٍ وقلــــبي تــــشرد وروحــــي غفـــتْ

وأمــــسى العـــــراق بأحزانـــــه كـــأن الحيـــاة بهـــا غـــادرتْ

فكيــــف بــــسيفٍ وأحوالــــهِ؟ وكيـــف الـــبلاد الـــتي أنجبـــتْ؟

ويـا مـوت قـل لـي بمـن قـد ظفـرت؟ وكــم قــد حــصدتَ؟ ومــن أهلكــتْ؟

أتيــــت إلينـــــا وفي غفلـــــةٍ وأخـــتُ الـــسيوف بهـــا قـــد ظفـــرتْ

إلى جنـــة الخلـــد يـــا خولـــةً ومـــن بعــدكم نفــسنا غـــادرتْ

وبــشراك يـــا قلـــب لا تبتـــئس لأنـــي أرى الـــشمس قـــد أشـــرقت

وطلّـــــت علينــــا بإشـــــراقها ومــــن نورهــــا روحنــــا ارتــــوت

فأخــت الــسيوف هـــي لم تمـــت وهـــذي الحيـــاة قـــد جــــددت[1]

وهـزَّت الوقـائع الـتي انتابت الأمـة الـشاعر فضل مكـوع فتفاعـل معهـا، وكـأن صوته المدوي اليوم يحكي لنا صوت المتنبي في عصره، فقد أخذته الحمية على أمته فسخر شعره لخدمتها، فدعا إلى الوحدة وندد بالفرقة والشتات والضياع والتخاذل فقال بعد أن تقمص شخصية المتنبي وقد ضمن البيتين الأولين من شعر المتنبي قصيدته المعنونة ب(عودة إلى العراق) :

(لـــتعلمُ مـــصرُ ومـــن بـــالعراق ومـــن بالعواصـــم أنـــي الفتـــى

وأنـــي وفيــــتُ وأنــــي أبيــــتُ وأنـــي عتـــوتُ علـــى ماعتـــا)[2]

إلى غايـــة المجـــد يـــا وحـــدتي ويـــا وحـــدة النـــصر لـــبيّ النـــدا

ويـــا نبـــضة القلـــب لا تيأســـي تغـــذي بنـــور وبـــشرى الهـــدى

ومـــن نـــور مجـــدٍ إلى جنّـــةٍ تـــداوي الأمـــاني بـــروح الفـــدا

(١) م. ن، ص١٢.

(٢) شرح ديوان المتنبي ١/ ٣٦ ـ ٤٢.

ويـــا رافـــدي العـــــراق ابــــشرا   أبـــو الطيـــبِ قـــد جـــاءكم منـــشدا
وجـــــــــاء يجــــــــدد أهدافـــــــهُ   للــــمِّ الــــشتاتِ وضـــرب العـــدى
وهـــذا البـــويهي وخـــصمي أنـــا   ومـــن جـــدّ لابـــدَّ أن يحـــصدا[1]

وأظهر الشاعر فضل مكوع مقدرة شعرية فائقة في تمثل روح المتنبي والتعبير عنها بعد ما أضفى عليها شيئاً مهماً من روح المعاصرة مما جعلها تنبض بالحياة وتعبر عن أهم جوانبها.

كذلك أعجبني الشاعر وهو ينحو في بعض قصائده منحى دراميًّا جميلاً، ولو عمل مكوع على تطويرها وإنضاجها لأصبحت قصائد مسرحية جميلة، ويبدو ذلك واضحاً في قصائده التي أدار فيها حواراً شعريًّا بين المتنبي وكافور، وبين المتنبي وسيف الدولة، عبَّر من خلال هذه الحوارات عن إبراز المعاني الشعرية التي يقولها بصورة جميلة.

المتنبي:

إلى مـــــصر أسمـــــو وكافورهــــــا   أبـــا المـــسك جئنـــا نريـــدُ الأمـــلْ
حببـــــتكَ قلـــــبي منـــــذ الـــــصبا   ومـــن قبـــل حـــبٍّ لـــسيف البطـــل
ولكـــــــن أســـــــاء إلى شـــــــاعرٍ   فـــأرجوك يـــا خيلنـــا تحتمـــلْ
أبـــا المـــسك نـــصراً لـــضرب العـــدى   وأرض الـــسواد طلبـــتُ فهـــل؟
وتعلـــــم بـــــأن العـــــراقَ لنـــــا   وفي عـــــصرنا ذا ومنـــــذ الأزل[2]

كافور الإخشيدي:

أبـــا الطيْـــب مـــا تبتغـــي حاضـــراً   ودار الـــسلام لكـــم يـــا رجـــلْ
وطمعـــي بفـــيضٍ مـــن بمـــا عنـــدكم   يكـــون الجمـــال أســـاس الحلـــل
فـــــلا خـــــوف ينتـــــابكم آبـــــداً   ويأتيـــك مـــدحي جمـــيلاً جـــزلْ

(١) قبسات من جهادية المتنبي، ص١٤.

(٢) قبسات من جهادية المتنبي، ص

لأنــــي تعلمـــــت مــــــن غـــــربتي معــــــاني دلالاتهـــــا لم تـــــزل

وعــــشت غريبـــــاً بـــــلا مـــــوطنٍ ومــــن غـــير أهــلٍ ومـــن دون خِــلْ

قُتلـــــتُ وكـــــم موتـــــةٍ عنـــــدهم وعـــادت حيـــاتي وغـــاب الأجـــلْ

ومــــن قـــد شـــهد مـــنكمُ موتنـــا دفنــــاهمُ قبـــل مـــوت البطـــلْ

متــــى يــــدرك المــــرءُ أهدافـــه؟ وآمالــــــهُ في الثبـــــاتِ جبـــــلْ

بمـــصرٍ أبـــو المـــسك قـــد زرتـــهُ حيــاتي ونــصحي وفجــري أطــلْ[1]

وقد علق الناقد الشاب والمبدع زكي الفليس عن ديواني (قبسات من جهادية المتنبي) بعد قراءة نقدية عميقة للديوان بقوله: "شيءٌ واحد يشترك فيه العظماء سواءٌ كانوا فلاسفة أو شعراء، أو قادة أو أنبياء، هو تغيير العالم، ولأن العالمين العربي والإسلامي كانا هرماً شملاً، راكداً تداركه الله بصهيل أبي الطيب في العراق، والشام ومصر في محاولة لزلزلته شعراً. وهذه المعلقة نظمت لتحكي شتات وتفرق الأمة والسعي لتوحيدها بطواف شاعرها، ورغم ما تحمله من تصورٍ مثالي مطلوب إلا أنه ليس تصوراً مَرَضياً تابعاً من دون كيشوتية متوهمة بل هو تصورٌ صحي لنفسٍ كبيرةٍ أبداً تشمر للحج، استطاعت موسيقى المتقارب أن تعبر عن ضربات قلب صاحبها الطموح العجل بقصائد ومعارضات، وبآيات من أسفار المتنبي نفسه لتشكل وحدة فنية داعية إلى وحدةٍ أشمل بين الإسقاط والاستحضار، كإسقاط "الحلاج" عند صلاح عبد الصبور، واستحضار "المعري" عند العقاد، في محاولة أدبية للنقد والتثوير.

وفضلُ الشاعر علينا في معلقته كفضل أبي الطيب على حساده في سيفياته.

فمـا كـل هـاوٍ للجميـل بفاعـلٍ ولا كـــل فعَّــال لـــه بمتـــيَّمِ

ويكفي أن المتنبي مازال حياً يرزق وكذلك سيف الدولة وأخت السيوف ولعل الحوار الأخير للمتنبي مع شعراء العروبة والإسلام في العصور المتأخرة والعصر الحديث لدليل قاطع على استمرار الجهاد ومكافحة الأعداء، فقد حاور شعراء

---

(١) قبسات من جهادية المتنبي، ص١٥.

العصر الحديث الذين عرفوا بالتمرد والثورة وحبهم للجهاد والحرية، وقد وفق الشاعر مكوع أن يختتم ديوانه قبسات من جهادية المتنبي بقصيدته (حوار مع الشعراء) :

وفود من الشرق قابلتها يصيحون، قالوا حلَّ الدمار
ونامت أسودٌ وما كان قطْ وقد ساد في الأرض قطٌّ وفار
وجاء التتار على موعدٍ مع العلقمي الغبي الحمار
وقد كشَّرَ الغرب أنيابه وباتوا من القرب في كل دار
وعشتم مع الضعف في كنهه وغاب زعيم البلاد وطار
ولكن عراق الشموخ لنا وأبطاله دائماً في انتصار
وسيف صلاحٍ[2] تصدَّى لهم وولى علوج الدنايا فرار
سألت ابن عبَّاد[3] عن وضعكم وقال: المآسي فيوجٌ كثارْ
وقال ابن هاني[4] ولم يبتسم بأن المصير هو الانكسار
وغابت بلادٌ فتحتوهما ويا ليت شعري يبثّ القرار
وغابت عن العُرْبِ حمراؤها وإشبيليتْها وكل الجوار
وغاب عن الألسن ذكرها وغاب الزعيم وغاب الحوار
ومازال في الشعر أرجوزةٌ دلالاتها نابضاتُ القرارْ
ومازال قلبٌ على عهده ونبضاته حاملاتُ المنارْ
ويبدو جنيناً وفي عزَّه فتوح الفتوح وحسم القرارْ
ولكنَّ للنفس أخلاقها فإصلاحها ينهي الانشطار
وإصرارها نزع حقاً لها بعزمٍ وما أروعَ الانتصار[1]

---

(١) قبسات من جهادية المتنبي، ص١٨.

(٢) صلاح الدين الأيوبي قائد الجيش العربي الإسلامي الذي تصدى للعلوج الروم وهزمهم في معركة حطين وحرر القدس والمسجد الأقصى.

(٣) هو الشاعر الأندلسي وأمير إشبيلية في القرن الخامس الهجري.

(٤) هو الشاعر ابن هاني الأندلسي.

ولعل قصيدته الأخيرة التي ختم بها هذا الديوان فيها من التوظيف المعاصر ما يستحق الدراسات النقدية العميقة وقد كانت بعنوان (قبسات وآمال)، وقد قال فيها:

سلامٌ لأبطال عاصرتهم ... وطوبى لمجدٍ نما وازدهر
وإرث تركنا لأحفادنا ... إلى آخر الدهر يبقى الأثرْ
و مازال وجه الأمل يرتقي ... بنصرٍ كبيرٍ ويوم أبّرْ
وليسَ غريباً على أمتي ... وتاريخها حافلٌ بالعبر
وليست تخافُ وإيمانُها ... سينزع حقاً يزيل الخطرْ
ففي أمتي ثورتي لم تزل ... بطولاتها في السجّل الأغرْ
وفودٌ من الشرق قابلتهم ... بقبلات في ليلةٍ في سمرْ
على رأسها كان بردونها ... وشوقي وناجي مع الشيخ بدر
وكانَ لقائي مع نازكٍ ... وفدوى وسلمى وبنت الحضر
وطوقان[1] كم قال من كلمة ... بوجه الأعادي بتلك النبر
سميح ودرويش والموشكي ... ولا يخضعون سوى للقدر
وعبد الرحيم سما ذكرهُ ... على راحة المجد روح البصر
رجال أمام الطغاة أبوا ... وقد أوقدوا ثورة من سعر
ومازال ذا الشعر في ثورةٍ ... وقد سجلوا ثورة المنتصر
ومن مأربٍ نخوة شمّرت ... وكان الجهاد حياة البشرْ
فجاءت إليّ خطاباتكم ... تقولون: قد زادّ هذا الخطرْ
وكم قد تفرعن أعداؤكم ... ومنكم تعلقم نصف البشر
كوافير عصرٍ وحكّامكم ... مطايا وأدوات مثل البقرْ

---

(١) وهؤلاء هم من أعلام الشعر العربي الحديث وهم أحمد شوقي، إبراهيم ناجي وبدر شاكر السياب، والشاعرات نازك الملائكة وفدوى طوقان، وسلمى خضراء الجيوسي، وبنت الحضر الشاعرة اليمنية بلقيس الحضراني. والشعراء: شعراء فلسطين إبراهيم طوقان وسميح القاسم ومحمود درويش والشاعر اليمني الشهيد زيد الموشكي. الشاعر الفلسطيني الشهيد عبد الرحيم محمود.

وهامــان قــد ســاد في عــصركم	وفي كــل ركــنٍ وتحــت الحجــرْ
وأمــسى الأعــاجم في أرضــكم	وفي كــل بحــرٍ وفي كــل بــرْ[1]
أبــاحوا اســتباحوا وكــم دمــروا	وانــتم تقولــون هــذا قــدرْ
وفي عــصركم نــوم أحلامكــم	علــى بــاب كــسرى وقــوم العــبرْ
فــلا العــزم قــام ولا أمــتي	صــحت بعــد نــومٍ وبعــد الكــبرْ
إذا كــان حكّــامكم هكــذا	فبالــسُّوط صــفعاً ونــار الــسعرْ
وأيــن الــسيوف الــتي اعتــدتها؟	وأيــن الخيــول وأيــن القمــر؟
ورغــم المآســي وأنواعهــا	يقولــون: إن الــشباب انتــصرْ
ويــسمو بفتــحٍ إلى غايــةٍ	وعنوانــه الانتــصار الأغــر
وتــسمو العــوالي بأبطالهــا	لأنَّ بهــا نــصرنا المنتظــر
وبــشراك بالنــصر يــا دينــنا	فهــذا العــدو انهــزم وانكــسرْ
وبــشراك يــا قلــب طــوبى لكــم	بفردوســكم تلتقــون الحــور
هنيئــاً يــزفُّ إلى خولــةٍ	ومــن ودَّهــا يــنعم المنتــصر
وطــوبى لمجــدٍ حلمنــا بــه	وطــوبى لحــبٍّ سمــا وانتــشر[2]

ومن حسن حظي وحظ ديواني (قبسات من جهادية المتنبي)، أن يكون أستاذي الفاضل الدكتور مبارك حسن الخليفة أول النقاد العرب قراءة لهذا الديوان، وقد كتب عنه خلاصة يسيرة بعنوان (إصدارات جديدة (قبسات من جهادية المتنبي) يقول فيه:

للشاعر الدكتور فضل ناصر مكوع، أستاذ الأدب العربي ونقده المساعد في قسم اللغة العربية بكلية زنجبار جامعة عدن. طبع الكتاب في مطابع التوجيه المعنوي، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م

الإهداء: أهدى الشاعر الدكتور فضل ديوانه هذا إلى المتنبي، رمز العرب، وإلى الأمة العربية التي أنجبته، وذلك في سبعة أبيات شعرية جاء في أولها:

---

(١) م. ن، ص ٧٢

(٢) قبسات من جهادية المتنبي، ص٧٤.

أحـــب وأهـــدي تحيـــات قلـــب إلى الـــشاعر الفـــذ رمـــز العـــرب

وفيها يقول:

إلى أمـــة خيـــر مـــن أنجبـــت أبـــا الطيـــب ســـلطانها المرتقـــب

إهداء ثـان:

إلى الدكتور فضل مكوع، من الشاعر عامر عبدا لكريم مصطفى (ألرقيبي) يقول:

لأنـت الفـضل فـضل لـيس يرقـى إليـــه الـــشك إن عـــدا لكـــرام

وأنـــي قـــد ظفـــرت بفـــضل فـــضل رأيــــت قليــــله فيكــــم يــــرام

المقدمـة:

بقلم الـدكتور حسن دخيـل الطـائي، أسـتاذ ألأدب العربـي المشارك بقسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة بابل.

كتب الدكتور حسن مقدمه ضافية استقصى بها شعر الدكتور فضل، ووقف طويلاً عند التلاقي بين الدكتور فضل والمتبي جاء في أول المقدمة:

((اطلعـت علـى ديـوان أخـي وزميلـي الأسـتاذ الفاضـل الـدكتور فـضل ناصـر مكــوع ، والموسـوم(قبـسات مـن جهاديـة المتـنبي)، وأعجبـت بمـا تـضمنته هـذه ألمجموعه الشعرية من معان وأفكار، وما نبضت به من عواطف ومشاعر أظهرت ما يتمتع به الشاعر من موهبة مبدعة ومقدرة فائقة في أدائـه الشعري، وهـو ينـشد هـذه الأبيـات الـشعرية الـتي تزخـر بحـب الـيمن والعروبـة والإسـلام، وتـنير الطريـق أمـام الأجيال العربية لاقتفاء منهج شاعر العرب الكبير أبـي الطيـب المتنبي، والـداعي إلى التمسك بقيم العروبة والأخذ بناصية المجد والرفعة والشموخ، ورفض الذل والخنوع.

أجمل ما في الديون هذا التلاقي في الـرؤى بـين المتنبي والـشاعر الـدكتور فضل ناصر مكوع، فكلاهما نذر نفسه لخدمة العروبة، وعمل على إعلاء شأن العرب والذود عن حياض الأمة بشعرهما".

وفي موضع أخر من المقدمة يقول الدكتور حسن: "وقد عبر الشاعر مكوع عن حبه لليمن، فأظهرت هذه المجموعة أنه ابن اليمن البار الذي تغنى بحبها وعشق كل شيء فيها، وحب اليمن تجسد في عروقه، ونبضت بهذا الحب كل قطرة من قطرات دمه، والجميل في الأمر أنه يمزج بين حب اليمن والعروبة"

مقدمة الشاعر:

جاء في أول هذه المقدمة: "كان المتنبي عبقرية متميزة قل نظيرها في الأدب العربي ممن سبقه أو جاء بعده من شعراء العربية، وأصبح شاعر الأمة الخالد، وشكل شعره ثقافة واسعة لا تحصر بحدود، ومعينا ثراً استقى منه الشعراء ما يحلو لهم من فنه الرائع ولغته العذبة وفكرته اللطيفة وحكمته البليغة، ونسجوا على منواله قصائدهم وإبداعاتهم ".

وقد ذكر الدكتور فضل ((شهادات أرباب البيان وأساطين اللغة)) من أمثال ابن رشيق القيرواني والو احدي والعكبري.

ثم قال: "وكان شاعر العربية من دون منازع، فكأنه يمشي في الجو وسائر الشعراء يمشون في الأرض"

ويقول في موضعٍ آخر من مقدمته": وتأسيساً على هذا، كان الديوان يتجه صوب المتنبي وشعره العربي الخالد في أغلبه الأعم ، ولأن المتنبي يمثل بقصائده ومواقفه وجه العرب المشرق في الشعر والبطولة والجهاد، فقد كان الدافع الرئيس لجعل ديوان شعري الرابع عن هذا الشاعر العملاق الذي شغل الناس وملأ الدنيا)).

والمقدمة تحوي الكثير المفيد والممتع وأنا سعيد بهذا التلاقي، فالمتبي (صديقي وحبيبي) والشاعر الدكتور فضل تلميذي وابني وصديقي وزميلي.

التناص:

هذا التلاقي بين الشاعر المبدع فضل مكوع وشاعر العربية يعطي مجالا للدارسين لتناول شعر مكوع ودراسة (التناص) بين الشاعرين. وأول قصيدة في الديوان تعطي المفتاح لمن يريد أن يدخل عالم هذا الشعر وهذا التناص.

والقصيدة عنوانها (ثورة المتنبي) ومن محاسن الصدف أن كتبها فضل مكوع وهو في مدينة الكوفة مسقط رأس المتنبي، في ديسمبر ٢٠٠٣م.

ثورة المتنبي

خرجـــــتُ مـــــن الكوفـــــة ثـــــائراً   وســـيفي هنـــا صـــارمٌ للطعـــانْ

"قـــضاعةُ تعلـــمُ أنـــي الفـــتي الَّـــ   ـــذِي ادَّخَـــرَتْ لِـــصُرُوف الزمـــانْ

ومجـــدي يـــدلُّ بـــني خنـــدفٍ   علـــى أن كـــلَّ كـــريم يمـــان"[1]

وفيها يقول :

وحـــــلَّ الـــــشتات وأنواعـــــهُ   وتـــنهش عـــصري ذئـــاب المكـــانْ

سمـــــوم الأفـــــاعي وأنيابهـــــا   تُبـــثُّ مـــن الأجـــنبي الجبـــانْ

أنـــادي أصـــيحُ بـــروح الفـــدى   للـــمِّ الـــشتات ا بعـــد الهـــوانْ

ويقول أيضاً :

خـــرتُ وبعـــضُ الـــشباب رفـــاقي   نثـــور بعنـــفٍ ولا نـــستهان

ولكـــن طمـــوحي كوتـــهُ القـــوى   علـــى التـــوِّ قـــالوا تنبـــا فـــلانْ

وفخـــري بقـــومي قـــد غـــاظهم   وأهـــدافهم عيـــشنا في هـــوانْ

خرجـــــتُ أبـــــشر بـــــالمرتجى   أنـا ابـن الـسيوف أنـا ابـن الطعـان

"أنـا ابـنُ اللقـاءِ أنـا ابـن الـسخا   أنـا ابـن الـسروج أنـا ابـن الرعـانْ

طويـــلُ النجـــادِ طويـــل العمـــادْ   طويـــل القنـــاة طويـــل الـــسنانْ

حديـــدُ اللحـــاظ حديـــدُ الحفـــاظ   حديـــدُ الحـــسامِ حديـــد الجنـــانْ

يـــسابق ســـيفي منايـــا العبـــاد   إلـــيهم كأنهمـــا في رِهـــانْ"[2]

هنيئاً لك يا ابني الشاعر الدكتور فضل مكوع، وهنيئاً للقراء الكرام، ومزيداً من الإبداع.

(1) (صحيفة الأيام وفي عددها ٥٥٣٤، السنة ٢٧. الموافق يوم الأحد ٢٠ شوال ١٤٢٩هـ - ١٩ أكتوبر ٢٠٠٨م. ص١٥)

---

(١) شرح ديوان المتنبي٤/١٨٨ .

(٢) شرح ديوان المتنبي ٤/١٨٨.

لقد بينا أن موروث المتنبي كان من دون شك معينا ثرّاً استقى منه شعراء اليمن فنّاً رائقاً، ولغةً عذبةً، وفكرةً لطيفةً، وحكمةً بليغةً نسجوا على منوالها... وقد اهتم الشعراء بأن يرتكزوا على أرضيةٍ صُلبة تعطي شعرهم أصالةً ومفهوماً عميقين، إذ أفاد الشاعر اليمني من ذلك الموروث بأمثلته الشعرية العالية وحكمه الذائعة ومواقفه النبيلة، ليس بصيغة التقليد والمعارضة فحسب ولكن بالتفاعل مع تلك الأمثلة: "ليضفي عليها شيئاً من صورة العصر ويتآزر معها لتعميق مضمون القصيدة واستنطاق دلالتها الإنسانية الخالدة "[1]. وكان هذا هو الاتجاه العام الذي سار عليه الشعراء بغض النظر عن ضعفهم أو قوتهم أو طبيعة تواصلهم مع تراث المتنبي، فلم نجد من الشعراء من أعرض عن تراث المتنبي ومضامينه ورموزه، بل إن ما دللنا به من شعر يشير إلى شغف بالتواصل مع موروث المتنبي الشعري وتوظيفه في تطوير مسيرة الشعر حتى غدا الشعر اليمني مكمّلاً للتراث العربي الخالد و "العظيم الذي مشى بالدم وبالحياة وبالعصب والذهن"[2]، وقد حافظ الشعراء اليمنيون المحدثون على الأصالة والتزموا بالشعر العربي القديم بشكلٍ عام وشعر المتنبي بشكلٍ خاص وبمعانيه وبحوره وألفاظه وقوافيه، ونظموا على نسج شعره وعارضوه حبّاً وإعجاباً، إذ يعد شعرهم "نموذجا فنياً عالياً ومثالياً لجميع الأنماط الشعرية العربية المتطورة"[3] "وعلى هذا الأساس ظلَّ المتنبي – كما ذكرنا- معيناً ثرّاً استقى منه الشاعر اليمني الحديث سلامة الأداء، وقوة التعبير ووضوح الفكرة، ولعل المتنبي أكثر شعراء العرب حضوراً في شعر اليمن الحديث، ربما يعود ذلك إلى المكانة العالية التي احتلها بين شعراء الأمة قديماً وحديثاً، وقد كان هذا من الدوافع الرئيسة التي دفعتنا لنشر هذا الكتاب.

وتأسيساً على هذا نجد شعراء اليمن قد حملوا كلماتهم الشعرية؛ وقصائدهم كافة مضامين تراثية مهمة وفاعلة من تراث المتنبي، وفيها ما يعمق تجربتهم

---

(١) أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، علي حداد، ص ٦٤.

(٢) ويكون التجاوز، محمد الجزائري، ص ٤٩٩ .

(٣) تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، د. نوري حمود القيسي، ص ١١٧.

الشعرية، وقدموا أنموذجا فذّاً لإحياء التراث العربي، وتراث المتنبي منه على وجه الخصوص،ولعل قصائدهم في أغلبها لم تبارح شعر المتنبي أبداً، فقد وظفوها لمعالجة حاضرهم العربي واليمني على وجه الخصوص، وشحنوها برؤى ومضامين عصرية.

لقد حاولنا – فيما تقدم – أن نرصد المضامين المتعددة التي تصنع عالم الشعر اليمني المقاوم ، والتي تحدد مضامينه المختلفة، وذلك بهدف توضيح ما يميز الحركة الشعرية اليمنية التي ألهبت جذوة الحماسة الثورية، وقد أثبتنا أن المتنبي وتراثه وفاعليته في شعراء اليمن كان الأساس لكتابة هذا البحث، وقد ارتأينا أن نتابع مضامين المتنبي وتراثه الفاعل، ولاشك أننا قد وظفنا بعض الشواهد الشعرية التي تمتلك قيمة الشهادة على صحة القضايا المثارة.

الخاتمة

كان المتنبي عبقرية متميّزة قلّ نظيرها في الأدب العربي ممن سبقه أو جاء بعده من شعراء العربية، وأصبح شاعر الأمة الخالد، وشكلّ شعره ثقافةً واسعةً لا تحصر بحدود، ومعيناً ثراً استقى منه الشعراء ما يحلو لهم من فنه الرائع ولغته العذبة وفكرته اللطيفة وحكمته البليغة، ونسجوا على منوالها قصائدهم وإبداعاتهم، وأفادوا من موروثه الضخم وتأثروا به منذ عصره وحتى يوم الناس هذا. وكان شعره نتاج مرحلة مهمة في العصر العباسي، فبعد أن استقرت فيها القصيدة العربية من ناحيتي المبنى والمعنى توجت هذه المرحلة بقصيدة المتنبي التي بلغ فيها النمط الموروث قمة الاستقرار والنضج ..

وعلى هذا الأساس انطلقت رحلتي في عالمين اثنين لا ثالث لهما الأول: (المتنبي)، وقد صحبته في هذه الرحلة، وكانت من دون شك جميلة وشائقة وممتعة، فهو شاعر العربية الذي مضى على مقتله أكثر من ألف عام؛ ولا يزال شعرهُ على كل لسان، وحكمه تزين أساليب أرباب الفصاحة والبيان، فكأنه يمشي في الجو، وسائر الشعراء يمشون في الأرض .

والآخر: عالم الشعر اليمني الحديث، والذي ارتبط بالثورة والتراث، كما ظلّ شعر اليمن الحديث "الصوت الوحيد الذي تتردد فيه أنفاس الشعب المغلوب على أمره، لقد أنبتت اليمن نجوماً في سماء الشعر، وبطولات في دنيا القلم والنضال معاً، ولم تنبت شعراً عادياً، و إنما شعراً تعطره البطولة من أجل الحرية والعروبة.

لقد أنجبت اليمن في عصرها الحديث صفوة من الشعراء الذين أسهموا إسهاماً فعالاً في دفع عجلة التطور الأدبي والانطلاقة الشعرية الصاعدة في الوطن العربي.

لقد سجل الشاعر اليمني في مختلف مراحل النضال أروع صور البطولة والتضحية والفداء التي جعلته يتميز بها في كفاحه ضد الاستعمار البريطاني ونظام الإمامة، فقد كان صوت الشاعر هو الرصاصة الثانية التي اخترقت صدر الأعداء، إذ سجل الشعراء أحداث الثورات بكل دقة، فضلاً عن فاعليتهم وحماسهم الثوري

في صنع الثورة، بعد أن أثبتنا أن كل نص من نصوص المتنبي يتداخل مع نصوص شعراء اليمن، وقد تتعدد الآلية تبعاً لتشعب الموضوعات ومقصدية المبدع.

ليس بالضرورة أن يجاري النص النصوص التي يتداخل معها، فقد تتنوع العلاقات تبعاً للموضوعات المتداخلة،فهناك علاقات إعجاب أو تعضيد أو تبجيل، أو تضافر ومجاراة، وقد يأتي التداخل بشكل قصدي أو بشكل عفوي وذلك حينما تدخل إشارة من شعر المتنبي في شعر غيره من المتأثرين به من شعراء اليمن من غير وعي منه بذلك التداخل.

تخضع درجة المقاربة بين النصين الموثر والمتأثر لمقدار العناصر المشتركة، ويتحدد التداخل الإيجابي بمدى نجاح النص الجديد في التوظيف والتحويل إلى ما يتلاءم مع الحالة الجديدة المعاصرة.

سبق أن ذكرنا أن شعراء اليمن قد أولوا شخصية المتنبي اهتماماً أوضحت عنه قصائدهم العمودية والجديدة، ويعدُّ ورود ذكر هذه الشخصية وتوظيفهم لها ارتقاء لذوقهم وإبداعهم وتقنيتهم، فضلاً عما تتمتع به شخصية المتنبي من سماتٍ رفيعة في غاية النبل والأنفة والعصامية والتحدي، وعلى هذا الأساس غاص الشعراء في بحر أفكاره، وتعمقوا في أغواره، واستبطنوا لآلئ جديدة ودرراً ثمينة تعجب الناظر. وتبهر السامع لما فيها من دقّة وروعة وبهاء.

وتعد الموسيقى من العناصر الرئيسة التي يرتكز عليها البناء الفني للقصيدة العربية، ولذلك كثيراً ما وقف عندها نقادنا القدماء، وحرصوا على الإحاطة بمحاسنها و إبراز مزاياها واتخذوا منها وسيلة للمفاضلة بين الألفاظ، ولا ريب في أن تتكئ الدراسات النقدية الحديثة على ذلك الموروث، وموروث المتنبي على وجه الدقة والتحديد أما فيما يتعلق بالوزن، فإن شعراء اليمن لم يفارقوا الأوزان العربية الخليلية التي تشكل المحور الرئيس للقصائد البيتية. وقد أثبتت الدراسة الإحصائية لشعر المتنبي وأخذ عينة من نتاج شعراء اليمن وعلى وجه الخصوص لمن دللنا لهم بنماذج شعرية في بحثنا هذا، بحيث تتطابق هذه العينة مع نتاج المتنبي قافية ورويا ووزناً، وخرجنا بنتيجة مؤداها أن ديوان المتنبي ظل نصّاً مقروءاً بضراوة، فقد

تكرر ثانية، كما تكررت شخصية المتنبي ومواقفه مرة أخرى في شعر اليمن الحديث.

- لقد أفاد شعراء اليمن من الأحداث المرتبطة بتجربة المتنبي فاستحضروا بعض الأحداث الدالة، التي تطور التجربة المعاصرة، وتضفي عليها ملامح من التجربة المعروفة للشخصية من دون أن يبقوا أسرى لدلالات تلك الأحداث، إذ تصرفوا بها إلى الحد الذي يخدم التجربة المعاصرة.

- تأثر شعر اليمن الحديث بعوامل كثيرة داخلية وخارجية في المراحل كافة غير أن مرحلة الأربعينيات حتى التسعينيات من القرن الماضي، وكانت مرحلة التحول الحقيقي الفاعل في كل المجالات، إذ تعد الانطلاقة الفكرية والشعرية في اليمن، لأنها ارتبطت بالثورة والنضال، إذ ارتبط الشعر بواقع العصر وقضاياه ولغته، وهذه المرحلة لا تختلف عن عصر المتنبي وثورته على الأعاجم وأعوانهم، وقد عمد الشعراء إلى تطوير قصائدهم من خلال الانفتاح على ثقافات كثيرة ومتنوعة، فضلاً عن شغف الشعراء بمورث المتنبي والتغني ببطولاته وأمجاده.. إلى ما هنا لك.

- لقد أثبتنا أن شعراء اليمن قد تمكنوا من توظيف أحداث ثورة المتنبي وجهاديته توظيفاً عصريًّاً،وذلك لمعالجة الواقع المعيش، وبثّ روح الحماسة والجهاد فيه،ومقارعة الاستعمار ومواجهة التحديات.

- عنيت هذه الدراسة بمضامين المتنبي ورموزها التي شغلت معظم شعراء اليمن ؛ لأنه يعد عاملاً رئيساً ومقوماً من مقومات أمتنا العربية والإسلامية، فحلّق الشعراء في أجوائه من غير عائق، يستحضرون عزَّهم الخالد ومجدَهُم التليد.

- استحضر شعراء اليمن في قصائدهم المضامين الحضارية ورموزها وشواخصها طيلة المدة التي عاش فيها المتنبي،وكان للأماكن الأثرية والحضارية والممالك التي شكلت حضارة تاريخية خالدة مثل (حلب ودمشق وبغداد والكوفة والفسطاط وشيراز وغيرها حضور فاعل ومهمٌّ في قصائد الشعراء. وقد ركزوا على الأحداث التاريخية المهمة والمعارك العربية والإسلامية وكسبها دلالات معاصرة بقصد التذكير بها من خلال الاستعادة التاريخية، ومن المعارك التي كان لها

حضور في شعر اليمن الحديث معركة الحدث الحمراء، وغيرها من المعارك التي شهدها سيف الدولة في مواجهة الروم.

- اتخذت الرموز المستمدة من التراث التاريخي، والتي عمد المتنبي إلى توظيفها حيزاً في قصائد الشعراء اليمنيين، والتي عمدوا فيها إلى توظيف المتنبي وشعره بما يتلاءم وواقعهم المعيش .

- ارتبط شعراء اليمن بشعر المتنبي شكلاً ومضموناً، وركزوا على قصائد كثيرة فاستخدموا بعض أبيات المتنبي مابين تضمين أو استلهام أو تحوير معنى أو معارضة، أو تقمص شخصية الشاعر أو التعبير عن حادثة أو واقعة أو غير ذلك، وقد أخذت سيفياته نصيب الأسد من هذا التوظيف، وكان لقصيدة (واحر قلباه) الحظُّ الأوفر في استحضار شعراء اليمن لها .

- كان لأسلوب القناع اثرٌ فاعلٌ في هذا البحث، وقد حاول البردوني أن يتقمص موقفاً من مواقف المتنبي في قصيدته (وردة من دم المتنبي) سنة ١٩٨٠م . وتعد هذه القصيدة من أنضج القصائد وأهمهما وأكثرها قدرة تعبيرية .

- وظفت مضامين المتنبي ومواقفه في القصيدة الجديدة توظيفاً عصريّاً، بحيث أصبح التراث عندها بناءً عضوياً ينمو من خلالها، وهذا أقصى غايات التفاعل بين صوره ومضمونه، ولم يقف عند هذا فحسب، بل أصبح المتنبي قناعاً يتقمصه الشعراء، ويسقطون من خلاله أبعاد رؤيتهم الشعرية، ويتمثل ذلك بدرجة رئيسة في شعر المقالح، إذ ساعدته موهبته وقدرته في ذلك من خلال توظيفه للمتنبي في كثير من قصائده.

- لقد حاولنا – فيما تقدم – أن نرصد مضامين المتنبي المتعددة التي تصنع عالم الشعر اليمني المقاوم، والتي تحدد مضامينه المختلفة، وذلك بهدف توضيح ما يميز الحركة الشعرية اليمنية التي ألهبت جذوة الحماسة الثورية، وقد ارتأينا أن نتابع مضمون المتنبي وتراثه ولاشك في أننا قد وظفنا بعض الشواهد الشعرية التي تمتلك قيمة الشهادة على صحة القضايا المثارة.

- إن استقصاء أثر المتنبي في شعر اليمن الحديث مهمة صعبة، ولا يمكن أن تفي بها مئات البحوث والدراسات، فلعلنا نكون قد أسهمنا في خطوة ريادية

متواضعة في هذا الطريق آملاً من الدارسين أن يكملوا هذا الطريق ،وأن يتقصوا الأثر التراثي لهذا الشاعر الذي شغل الناس وملأ الدنيا في شعر كل شاعرٍ من شعراء اليمن، كما نأمل أن تكون نتائجه أرضاً خصبة تمهد لدراسات قادمة تغني الموضوع وتزيده عمقاً.

- وقد سارت الدراسة في منهج قدمت فيه إشارات لم تكن تسعى إلى الوقوف عند رمز واحد أو حادثة بعينها ، بل شغلها الامتداد نحو مضامين المتنبي كافة ، فضلاً عن مواقفه وأحداثه ،وجهاده وأنفته ، فضلاً عن شاعريته التي يمكن أن تفتح للقصيدة العربية آفاق زمن ملحمي دائم الحركة نحو المستقبل ، يضفي على النص الشعري حالة الأمل المرجو الساعي إلى تحقيقه.

- وبعد فقد بذلت غاية جهدي في محاولة الإبانة عن جذور المتنبي التراثية في النسيج الشعري المعاصر في هذا البحث فإن أصبت فذلك مَنٌّ من الله جل في علاه، وإن كان من نقص هنا أوهناك، فذلك طبع الإنسان الذي لم يبرئه الله من النقصان، وحسبي أني حاولت، وأسأل الله تعالى أن يقع بالمنزلة التي أمّلت والحال التي أردت فإن وقع على ما ارتأيت فذلك بتوفيق من الله وحسن تأييده، وإن وقع بخلافها فما قصرت في الاجتهاد ، فحسبي أجر المجتهد .

- وأسأل الله جلّ في علاه أن يكون هذا العمل في ميزان حسناتي يوم العرض على وجهه الكريم ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾. سورة الشعراء ٨٨- ٨٩

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مصادر الكتاب ومراجعه

- القرآن الكريم
- إبراهيم الحضراني الإنسان والشاعر، الدكتور هادي نهر، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء الطبعة الأولى هـ ـ٢٠٠١م
- الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن، الدكتور عبد العزيز المقالح، الطبعة الأولى، دار العودة بيروت ١٩٧٤م.
- أبو الطيب المتنبي حياته وشعره، مجموعة من المؤلفين العرب، المكتبة الحديثة بيروت .
- اتجاهات الشعر العربي المعاصر الدكتور إحسان عباس، طباعة عالم المعرفة الكويت ١٩٧٨م.
- أثر التراث في شعر عبد الله البردوني، فاطمة عبد الله محمد عبد الحبيب، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة الكوفة ٢٠٠٣م.
- أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، علي حداد، الطبعة الأولى، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٩٤م.
- استلهام التراث في شعر عبد العزيز المقالح، خديجة حسين أحمد المغنج، إصدارات وزارة الثقافة صنعاء ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤ م.
- الأعمال الكاملة، أحمد بن محمد الشامي، منشورات العصر الحديث، دار المعارف، ١٩٨٦م.
- الأعمال الشعرية الكاملة، أمل دنقل، دار العودة، بيروت، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.
- الأعمال الشعرية الكاملة، صالح بن علي الحامد، إصدارات وزارة الثقافة صنعاء ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤ م.
- الأعمال الشعرية الكاملة، عبد العزيز المقالح، إصدارات وزارة الثقافة صنعاء ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤ م.

- الأعمال الشعرية الكاملة، علي بن علي صبرة، إصدارات وزارة الثقافة صنعاء ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤ م.
- الأعمال الشعرية الكاملة، لطفي جعفر أمان، إصدارات وزارة الثقافة صنعاء ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤ م.
- الأعمال الشعرية الكاملة، محمد سعيد جرادة، إصدارات وزارة الثقافة صنعاء ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤ م.
- الأعمال الشعرية الكاملة، محمد عبده غانم، إصدارات وزارة الثقافة صنعاء ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤ م.
- الأعمال الشعرية الكاملة، محمد محمود الزبيري، إصدارات وزارة الثقافة صنعاء ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤ م.
- الأعمال الشعرية والمسرحية الكاملة، علي محمد لقمان، تقديم الدكتور أحمد علي الهمداني، مطبعة جامعة عدن ٢٠٠٦م.
- إمبراطور الشعراء، الدكتور عائض القرني، مكتبة العبيكان الطبعة الثانية الرياض ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢م.
- أمية بن أبي الصلت حياته وشعره، دراسة وتحليل د. بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الشؤون العامة، بغداد الطبعة الثانية ١٩٩١م.
- البردوني هوميروس اليمن"مقال"هشام علي، مجلة الثقافة، السنة الرابعة، العدد الرابع والعشرون – يوليو ١٩٩٦م.
- تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، الدكتور نوري حمودي القيسي وآخرون، مطبعة وزارة التعليم العالي، الموصل الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.
- تداعيات المتنبي بين يدي سيف الدولة، خالد محيي الدين البرادعي، دمشق ١٩٧٦م.
- تطور الصورة الفنية في شعر اليمن الحديث (١٩١٨- ١٩٧٢م) عبد المطلب جبر، رسالة دكتوراه، كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٩٧.
- التناص في ديوان الهمداني (بحث) محمد مسعد العودي، مجلة التواصل، العدد الثامن عشر، يوليو ٢٠٠٧م، ص١٧١ .

- جدل الشعر والثورة، نزيه أبو نضال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر الطبعة الأولى ١٩٧٩م.
- حصار لمدائح البحر، محمود درويش، دار سراس للنشر تونس، ١٩٨٤م.
- الخصائص، ابن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق الشيخ محمد علي النجار، القاهرة دار الكتب المصرية.
- دراسات في علم النفس الأدبي، حامد عبد القادر، المطبعة النموذجية، القاهرة ١٩٤٩م .
- ديوان إبراهيم الحضراني، جمع وتحقيق وتقديم علوان مهدي الجيلاني، إصدارات وزارة الثقافة صنعاء ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤ م.
- ديوان ابن نباتة السعدي (ت٤٠٥ هـ)، دراسة وتحقيق عبد الأمير حبيب الطائي، دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٧م
- ديوان أبي تمّام (ت٢٢٣هـ) مراجعة د. محمد عزّت نصر الله، دار الفكر للجميع بيروت.
- ديوان الزبيري. تقديم الدكتور عبد العزيز المقالح، دار العودة بيروت ١٩٨٦م.
- ديوان بدر شاكر السياب، تقديم ناجي علوش، دار العودة بيروت، ١٩٨٩م.
- ديوان عبدالله البردوني، الهيئة العامة للكتاب صنعاء الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ديوان عبد الوهاب البياتي، المجلد الثاني، دار العودة، بيروت ١٩٧٢م .
- ديوان عنترة (ت٢٢ق. هـ) ومعلقته، قام بتحقيقه: شرحاً وتقييماً وتحديثاً، خليل شرف الدين، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٧م.
- ديوان الهمداني، د. أحمد علي الهمداني، دار المسيرة، عمان، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م ـ ١٤٢٥ هـ .
- ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، عبد الوهاب عَزَّام دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ ١٩٥٦م.

- رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه، عبد الله البردوني الدار الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٢م.
- الرموز التراثية العربية في الشعر العربي الحديث، الدكتور خالد الكركي، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.
- شرح ديوان المتنبي (ت ٣٥٦ هـ)، بشرح أبي البقاء العكبري ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي دار الفكر.
- شرح ديوان أبي الطيب تحقيق وفهرسة فريد ريخ ديتربصي برلين ١٨٦١م .
- شعراء اليمن المعاصرون، هلال ناجي، منشورات مؤسسة المعارف ١٩٦٦م.
- شعر البردوني، دراسة أسلوبية، سعيد سالم سعيد الجريري رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة المستنصرية، ١٩٩٧م.
- شعر الزبيري، بين النقد الأدبي وأوهام التكريم، د. رياض القرشي، القاهرة١٩٩٠م.
- شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، تحقيق حسن تميم، دار بيروت، مكتبة الحياة ١٩٦٣م، طبعة القاهرة، المطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٦٣م.
- الشعر الحديث في اليمن، ظواهره وخصائصه الفنية ١٩٣٩ـ ١٩٨٠، عبد الرحمن عرفان، رسالة دكتوراه، كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٩٦م.
- الشعر في إطار العصر الثوري، د. عز الدين إسماعيل(ت ٢٠٠٧م)، دار القلم،الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٤م.
- العمدة في صناعة الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) تحقيق محيي الدين عبد الحميد ،دار الجيل بيروت.
- في حداثة النص الشعري، دراسات نقدية، الدكتور علي جعفر العلاّق، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٩٠م.
- القائد في وجدان الشعب"مختارات شعرية" فيصل أحمد النظاري، دائرة التوجيه المعنوي صنعاء الطبعة الأولى،٢٠٠٦م.

- قبسات من جهادية المتنبي (ديوان شعر) تحت الطبع (مطابع التوجيه المعنوي)، الدكتور فضل ناصر مكوع،٢٠٠٨م.
- القطوف الدواني في شعر إبراهيم الحضراني، جمع وتقديم أحمد محمد الشامي بيروت ١٩٩١م .
- القناع في الشعر العربي الحديث، دراسة في النظرية والتطبيق، د. سامح الرواشدة، الطبعة الأولى، مطبعة كنعان،الأردن، ١٩٩٥م.
- المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث، محمد عبد الرحمن شعيب، القاهرة ١٩٦٤م .
- المجموعة الشعرية الكاملة، عبد الرحمن جحاف، إصدارات وزارة الثقافة صنعاء ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م.
- المضامين الدينية والتراثية في شعر اليمن الحديث، فضل مكوع،دار الضياء النجف الأشرف، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م .
- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٢م.
- مع المتنبي في شعره الحربي، الدكتور هادي نهر، مطبعة الجامعة المستنصرية، بغداد الطبعة الأولى١٩٧٩م.
- معجم مصطلحات الأدب مجدي وهبه، مكتبة لبنان بيروت، ١٩٧٤م.
- معجم مقاييس اللغة ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة ١٩٦٦م.
- من اليمن، أحمد محمد الشامي ١٩٦٧م.
- نقوش على حجر العصر، عبد الرحمن فخري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، مطبعة الكاتب العربي، دمشق ١٩٧٨م.
- وفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١هـ) تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر بيروت.

المؤلف في سطور

الدكتور فضل ناصر حيدرة مكوع (العلوّي)

- أستاذ الأدب العربي ونقده المساعد في قسم اللغة العربية بكلية التربية زنجبار جامعة عدن.
- من مواليد محافظة أبين ـ اليمن ١٩٦٤م.
- النشاط الثقافي والنقابي:
- عضو مؤسس للجمعية الأدبية للشباب محافظة أبين .
- عضو اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين محافظة أبين .
- عضو سكرتارية نقابة الصحفيين اليمنيين محافظة أبين ١٩٩٦م.
- رئيس نقابة هيئة التدريس بكلية التربية زنجبار جامعة عدن ٢٠٠٤ ـ فبراير ٢٠٠٨م.
- الشهادة التقديرية: والأوسمة:
- حاز على وسامي الشرف والإخلاص عام١٩٩٤م من قبل رئيس الجمهورية.
- حاز على ميداليتي التفوق العلمي ١٩٨٩م، ١٩٩١م.
- حاز على جائزة أفضل كتاب للمسابقة التي تنظمها جامعة عدن في البحث العلمي للعام ٢٠٠٨م في كتابه (نقد النص الأدبي وقضاياه في العصر الجاهلي).
- حاز على أكثر من ثلاثين شهادة تقديرية في كل المواقف التي عمل فيها وفي نشاطه التربوي والثقافي.

صدر للمؤلف الدكتور فضل مكوع

١- ملحمة اليمن (ديوان شعر).
٢- رسالة إلى الفردوس (ديوان شعر).
٣- الوفاء الأبدي (ديوان شعر).
٤- المرشد الوجيه في اللغة العربية.

٥- المضامين الدينية والتراثية في شعر اليمن الحديث(١٩٤٠= ١٩٨٠).
٦- نقد النص الأدبي وقضاياه في العصر الجاهلي.
٧- وقفات وتأملات مع الشاعر ناصر مكوع العلوي.
٨- أثر المتنبي في شعر اليمن الحديث.
٩- قبسات من جهادية المتنبي (ديوان شعر).

كتب تحت الطبع :

- المضامين الدينية والتراثية في شعر اليمن الحديث في القرن العشرين. (مطبعة جامعة عدن)
- النقد الأدبي وقضاياه في العصر الإسلامي .(مطابع التوجيه المعنوي)
- قبسات من تاريخ عدن وتراثها الأدبي (مطبعة جامعة عدن)
- اللغة العربية ـ عام ـ متطلباً جامعيّاً. .(مطابع التوجيه المعنوي)
- عيون وآمال (ديوان شعر)، مركز الأمين للنشر .

له من المخطوطات :

- فصول في النقد الأدبي وقضاياه في العصر الأموي.
- التراث العربي زمنٌ متجدد .
- قبسات من التراث الشعبي.

أبحاث ومشاركات في ندوات ومؤتمرات علمية :

١ـ مساق اللغة العربية عام ـ متطلباً جامعياً ـ بحث ألقي في الندوة العلمية التي عقدها قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة عدن قي إبريل ٢٠٠٦م .

٢ـ الوحدة اليمنية إنجازات وآمال، كانت مداخلة الباحث في الندوة التي عقدت في ديوان محافظة أبين بتاريخ ١٨/٥/ ٢٠٠٦م بإشراف جمعية أبناء أبين الخيرية.

٣- الوحدة اليمنية في مضمون الشعر اليمني الحديث، بحث شارك به الباحث في الندوة العلمية التي عقدت في رحاب مدينة زنجبار في مايو/ ٢٠٠٦ م.

٤- إضاءة نقدية عن دعوة لقمان الإصلاحية وريادته التنويرية (كتاب بماذا تقدم الغربيون مثالاً)، بحث شارك في ندوة المناضل محمد علي لقمان رائد حركة التنوير في اليمن ، جامعة عدن في نوفمبر/ ٢٠٠٦م. (منشور في كتاب).

٥ ـ عدن أم عدن أبين قراءة نقدية في التسمية والأهمية، بحث مشارك في المؤتمر الدولي السادس للحضارة اليمنية "الملتقى السبئي الحادي عشر، في مدينة عدن في نيسان٢٠٠٧م.

٦- قضايا ومشكلات تعليم اللغة العربية في المدارس والجامعات، بحث مشارك في المؤتمر العلمي الذي أقيم في رحاب جامعة دمشق تحت عنوان "اللغة العربية والتحديات المعاصرة" أبريل ٢٠٠٧م.

٧- الوحدة اليمنية وفاعليتها في مواجهة التحديات المعاصرة، قراءة في أحداثها التاريخية ومضامينها الأدبية، بحث مشارك في الندوة العلمية عن الوحدة اليمنية والألفية الثالثة جامعة إب في مايو ٢٠٠٧م. (منشور في كتاب)

٨- فاعلية التعديلات الدستورية واستيعابها لآفاق المستقبل في مبادرة الرئيس، بحث مشارك في الندوة العلمية المعنونة بـ (التعديلات الدستورية استيعاب الواقع وتحولات العصر)، والتي أقيمت في رحاب جامعة عدن في ١٥ ديسمبر ٢٠٠٧م. (منشور في كتاب)

٩- شجاعة حسان وليونة شعره الإسلامي بحث منشور في مجلة التواصل ٢٠٠٨م.

١٠- الوحدة اليمنية ومسارها التاريخي كانت مداخلة الباحث في الندوة التي عقدت في منتدى الوحدة بمدينة زنجبار محافظة أبين بتاريخ ٥/١٤/ ٢٠٠٨م .

١١- أبحاث أخرى ومشاركة واسعة في الندوات والأمسيات الأدبية في القنوات والمنتديات والجامعات وغيرها ، فضلاً عن كتاباته الصحفية .

الفهرس